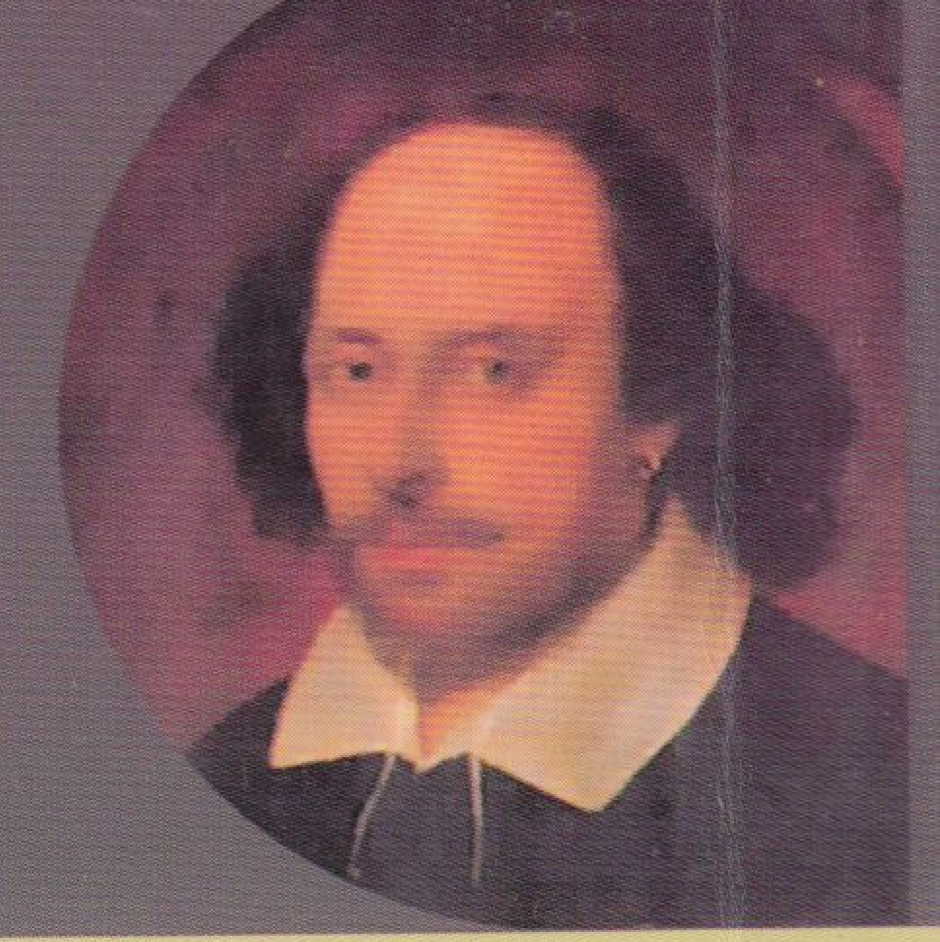


الأعمال الكاملة

وليام شكسبير

الملك جون

INTERNATIONALITY

العالمية للكتب والنشر

الملك جون

وليام شكسبير

ترجمة

إبراهيم جلال



الملــــك جــــون

وليـــــام شكســبير

الطبعة الأولى: 2010

رقم الإيداع: 9507/ 2009

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة



النـاشـر



---

١٥ الفاروق عمر بن الخطاب - الطالبية - فيصل - الجيزة

تليفون وفاكس: ٣٧٢٢٢٧٢٧ محمول: ٠١٢٢٥٩٥٩٧٣

عصر شكسبير

شهد عصر شكسبير انقلابًا واسعًا في الحياة الاجتماعية، فظهور الطبقة المتوسطة، والحكومة المركزية في البلاد، واختفاء المعتقدات الدينية التي كانت تسيطر على أفكار شعب إنكلترا في القرون الوسطى، كل هذه العوامل أدت إلى انتقال إنكلترا إلى مرحلة عصرية حديثة، فأصبحت بالتالي أمة متطورة ومزدهرة.

وقد شهد شكسبير هذه المرحلة من تاريخ إنجلترا، تلك المرحلة التي قدس أصحابها مسألة تحقيق الذات (أي أن يحقق المرء كفاءاته الشخصية).

كما شهد مسألة احترام الذات وحرية الرأي والعمل.

نرى أن هذه القضايا استأثرت باهتمام شكسبير كثيرًا حتى كانت مصدرًا لمواضيعه ومسرحياته، ويبدو لنا هذا إذا تناولنا أية مسرحية له ودرسناها جيدًا، فيتبين لنا أن الممثلين يعملون كأفراد، كما أن المواقف والحوادث الدرامية تنبع من دوافع حثيثة جدًا تعتلج في نفسية الممثل.

المُقدمة

تعتبر مسرحية الملك جون من أكثر مسرحيات شكسبير رواجًا، لأنها من المسرحيات التى تتحدث عن أحد الموضوعات الحية منذ قديم الزمان، كما أن نماذج الشخصيات فيها من النماذج الطبيعية التي لا يبليها الزمن ولا تتقيد بمكان دون غيره، حيث صورها الأدب الشعبي وكثيرًا من القصص منذ أقدم العصور، وكأنها من قصص ألف ليلة وليلة العربية.

لذلك نجد تحقيق نسبية هذه المسرحية أعصى من غيرها من المسرحيات الشكسبيرية الأخري؛ حيث إنها ذات الموضوع المبتكر غير المتداول، ومع ذلك يخوض النقاد فيها مُحاولين تحقيق صورتها كما جاءت في المخطوط الأول، إلا أننا لا نخوض معهم في هذا وهو ما ليس فينا بشيء، مما لا يؤدي بنا إلي الكثير في هذا الموضوع.

أصل هذه القصة أحدوثة ، وما أصغرها من أحدوثة ، جرت على الألسنة تارة فى إنكلترا، وتارة فى فرنسا، تلك العبقرية التي تداولتها الألسن نقلًا عنها سائر الأمم: وما كان فيها من مغامرات ملأت ما يكفي لألف ألف لسان ، وألف ألف من الروايات والأشعار.

لقد طالع شكسبير هذه الأسطورة ، فصورها جملة فى أحسن ما تتصوره حادثة إنسانية ، تفصيلًا معنويًّا ، ترى وراءها آية من آيات تعمقه فى الأغوار الإنسانية فى كل حي، مع اختلاف البيئات وتعدد المناشئ

والصفات، وتنوع المعايش، لتجد الطمع فتشعر انه لا يوصف بأروع من ذلك، وتجد الجبن فتقول: لو كان رجلًا لكان هو هو نفسه الجبن، وتلمح الحقد وكراهية النفس فكأنك تراه فى فلان وفلان ... هكذا جمع العبقري كل هذه الأغوار الإنسانية فى شخصية واحدة، بل وبعضها فى شخص واحد .

فإذا انتقلنا إلى التمثيل الجمالي فترى أنه أصلح ما يكون لتزدان به النفس الإنسانية الصالحة التي لا تترك نفسها للآخرين من ذوي الأهواء والنفوس الشريرة، فما أجمل من ذلك رسم حسى للنواقص البشرية، والكمال الإنساني كذلك وحب الخير، كما فى الشخصية التي كشفت الخير ولو كان على حساب حياتها .

إنها العبقرية التي طفق يُهيء أجزاءها ، ويرتب مشوقاتها ، ويصل الأسباب والخيوط الفكرية الدقيقة ما بين أولها وغايتها.

فما بالك بعد جمال ذلك الكساء اللفظي ، وأزواجها من المعاني التي اكتست بها ..!!

إن المعاجم على ضخامتها وسعتها لهي ضئيلة أمام متناسقات الجمل والتعابير الإنسانية، وكأنها الطبيعة خلقت بمفاتنها بين يديه حين يصور منها حكمة نتعلم منها، وما زالت تلك الحكمة هي إلهام الكثيرين والكثيرين من العباقرة الذين ينهلون من عظمة ذلك الكائن شكسبير.

إبراهيم جلال فضلون

شخصيات المسرحية:

شخصيات المسرحية:

- الملك جون:
- الأمير هنري: ابنه، وقد سُمي بـ(هنري الثالث).
- أرثور: دوق بريطانيا، وهو ابن جوفروا الذي كان آخر دوق لبريطانيا، وهو ابن شقيق الملك جون.
- جوفروا فيتز بيتر: كونت اسيكس، وهو كبير قضاة إنكلترا.
- غليوم لينك إيبي. كونت سالزبري.
- روبرت بيكوت: كونت نورفولك.
- هيبوبرت دي بورغ: مرافق الملك جون.
- روبيرت فولكنبريدج: ابن سير روبرت فولكنبريدج.
- فيليب فولكنبريدج: شقيقه من أُمه، لقبه اللقيط.
- جيمس كورني: خادم السيدة فولكنبريدج.
- بيار دي بومفرات: عراف.
- فيليب: ملك فرنسا.
- لويس: ولي العهد لفيليب ملك فرنسا.

- أرشيدوق النمسا.
- الكردينال بندولف: مندوب البابا.
- ميلون: سيد فرنسي.
- شاتيون: سفير فرنسا لدى الملك جون.
- جلادان.
- اليونور: والدة الملك جون، وأرملة هنري الثانى.
- كونستانس: والدة آرثور.
- بلانش: ابنة ألفونس ملك إسبانيا، ابنة شقيقة الملك جون.
- السيدة فولكنبريدج: والدة اللقيط وروبرت فولكنبريدج.
- لوردات وجنود ورجال أمن ورجال الحاشية وسيدات ومواطنون.

(تجري الأحداث تارة فى إنكلترا، ومرة أخرى في فرنسا).

الفصل الأول

المشهد الأول

في قاعة العرش داخل قصر نورْشتون.

(يدخل الملك جون وأمه الملكة أليونور، ويمبروك وإسّيكس وسالزبري وشخصيات أخرى ، ثم شاتيون)

الملك جون: ماذا معك من الأخبار يا شاتيون؟ انطق ماذا تريد من فرنسا؟

شاتيون : بعد عبارات التحية والمجاملة، يتحدث ملك فرنسا بواسطتي إلي جلالتك المستعارة من إنجلترا.

اليونور : مقدمة عجيبة، أتقول: جلالة مستعارة؟

شاتيون : إن فيليب ملك فرنسا يطالب باسم أرثور بلانتاجيني ابن المرحوم أخيك جوفروا بحقه الشرعي في هذه الجزيرة وبكافة أراضيها، ويطلب منك أن تلقي السلاح الذي يحمي هذه الممتلكات التي أخذت بغير حق، أن تعيدها إلى سلطة الفتى أرثور ابن أخيك ومليكك المعظم.

الملك جون : وما هي العواقب المترتبة على إذا لم أستجب؟

شاتيون : سيكون مضطراً لشن حرب ضروس عليكم كي يسترد

حقوقه المسلوبة بالقوة.

الملك جون : نحن هنا مستعدون لمجابهة العدوان بالعدوان، هذا هو ردي على فرنسا.

شاتيون : إذًا فاقبل على لساني جواب التحدي من قِبَل مولاي.

الملك جون : وأنا أكلفك بنقل قراري إليه، وأتمنى لك سلامة الوصول، اذهب مسرعًا، وكن صوت غضبي ونذير شؤم يتوقع خراب دياركم، الوداع يا شاتيون.

(يخرج شاتيون ويمبروك)

اليونور : (للملك بصوت خافت) ألم أقل لك يا ولدي، إن أطماع كونستانس لن تتوقف إلا بإشعال الحرب في فرنسا وجميع بلاد العالم لتأمن حقوق ولدها، ويمكننا تدبر الأمر عن طريق بعض الاحتجاجات وبعض الأصدقاء الذين سيتدخلون كحكام للتسوية بيننا، ولكن قضي الأمر، وأصبح المخرج من هذه الأزمة دمويًا.

الملك جون : (للملكة بصوت خافت) القوة والملك في أيدينا، وليس علينا أن نخشى شيئًا.

اليونور :(للملك بصوت خافت)حق الملكية أهم من القوة، وإلا ستسوء العاقبة بالنسبة لنا.

(يدخل رجل من مقاطعة نورتشن ويقول بضع كلمات بصوت خافت لإسيكس)

إسيكس : يا مليكي المبجل، جاءت إليك الآن قضية من أغرب القضايا لتنظر وترى رأيك فيها، فهل تأمر بأن أنادي صاحبها للوقوف أمامك؟

الملك جون : دعهم يدخلون (يخرج رجل الأمن) ستدفع بلادنا وكنائسنا نفقات هذه الحملة.

(يعود رجل الأمن ويصحبته روبرت فولكنبريدج واللقيط وفيليب شقيقه)

الملك جون : (للأخوين) من انتما؟

اللقيط : مولاي أنا وجيه ولدت في مقاطعة نورتشن، والابن الأكبر لروبرت فولكنبريدج، على ما أعلم، وكنت أحد جنود الملك قلب الأسد.

الملك جون : (لروبرت)ومن تكون أنت؟

روبرت : ابن المذكور فولكنبريدج ووريثه.

الملك جون : (يشير إلي اللقيط) أهذا هو البكر، وأنت الوريث؟ لكنكما لستما من أم واحدة على ما أظن؟

اللقيط : أيها الملك القدير، بحق السماء نحن من أم واحدة وأب

واحد، وحتى تتيقن من صحة هذا الأمر أرجعك إلى شهادة والدتي، فأنا لا يخالطني أي شك في ذلك.

اليونور : ويحك أيها العاق، إنك تلطخ شرف أمك بهذا الشك الدنيء.

اللقيط : مولاتي، ليس لدي أي شك في هذه القضية، إنما هي حجة أخي؛ فإذا أثبت ادعاءه سيحرمني من ميراثي الذي يدر عليّ مبلغ خمسمائة ليرة على الأقل، لذا أطلب من السماء أن تصون كرامة أمي وميراثي.

الملك جون : إنك إنسان صريح، فلم يطالب شقيقك الأصغر بنصيبك من إرث أبيك؟

اللقيط : لا أعرف شيئًا سوى الطمع في ميراثي، فقد اتهمني بأنني ولد غير شرعي، وأنا أترك لوالدتي أن تجيب على أسئلته إن كنت ولدتُ بنفس الطريقة التي ولد بها أم لا؟ ولكني متأكد أني خلقت مثله تمامًا، فأنا أرجوك أيها الملك العادل أن تقارن بين وجهينا وتحكم في هذه القضية، فإن كان المرحوم روبرت هو والدنا فلا بد لنا من أن نشبهه كما هي عادة الآباء والأبناء، وأنا أشكر الرب لكوني أشبهه من كل النواحي.

الملك جون : ما هذا التفكير الملتوي الذي أشعر به في أقوالك؟

اليونور :وجهه يشبه الملك قلب الأسد، وصوته يذكرنا بصوته، أوَلا ترى في ملامح ولدي ما يشبه هذا الرجل.

الملك جون : روبرت فولكنبريدج، قل لي يا مغفل، لماذا تريد أن تأخذ حق أخيك؟

اللقيط : لأنه كبير الشبه بأبي، ويريد أن يستولي على ميراثي وعلى حصتي السنوية التي تبلغ خمسمائة ليرة استرلينية من مجموع الواردات، ويحرمني من حقي الشرعي.

روبرت : أيها الملك الكريم، عندما كان أبي على قيد الحياة استثمر الأموال.

اللقيط : لكن هذا لا يعطيك الحق في التعدي على أملاكي، وقد استغل فرصة غيابي وجلس بجوار أبي طول تلك الفترة التي غبت فيها، أما كيف أتيح له ذلك فأنا أخجل من كشف وسيلته، ولكن الحقيقة يجب أن تظهر، كانت مساحات شاسعة من البحار والشواطئ تفصل بين أبي وأمي، وقد سمعته يؤكد لوالدي ذات يوم أن هذا الرجل(يقصد نفسه) ليس ابنه عندما كنت صبيا، وقد أقسم بهذا قبل وفاته، ومن أجل هذا كله أرجوك أيها الملك العادل أن ترد إليّ حقوقي حسب إرادة والدي.

الملك جون : يا مغفل، أخوك ابن شرعي، وقد أنجبته أمك بعد

زواجها، فإن كانت قد غررت بأبيك فالذنب ذنبها، وهذا أحد الأخطاء التي يتعرض لها الرجال عندما يفكرون بالاقتران بامرأة، لنفترض أن أخي بعد أن أنجب هذا الابن، كما تقول، الا تعتقد يا صديقي بأن والدك رغم كل هذا اعترف بهذه الحقيقة؟ نعم، طبعاً، كان في إمكانه أن يفعل ذلك، ولنفترض أنه ابن أخي، ليس باستطاعة هذا الأخير أن يطالب به حتى لو لم يكن الولد من صلب أبيك، إذا لم يكن باستطاعة هذا الأخير أن ينكره، وهذا دليل قاطع على أن ابن أمك قد أصبح إبن أبيك.

روبرت : أظن أن مشيئة أبي ليس لها أي تأثير لحرماني.

اليونور : (للقيط) أيهما تفضل؟ أن تنسب إلى أسرة فولكنبريدج، وأن تشبه أباك، أو أن تكون ابن قلب الأسد المولى العالي المقام الذي لا يملك أية أرض؟

اللقيط : يا سيدتي، لو شاءت الأقدار أن نتشابه أنا وأخي، ونشبه سيرْ روبرت، لكان لي فخذان مقوسان نحيلان جداً وذراعان مفتولان مكسوان بجلد كثوب الحيات ووجه نحيل جداً إلى درجة تجعلني لا أستطيع وضع وردة وراء أذني؛ حتى لا يقال عني إنني لا أساوي شيئاً، ولو كنت ورثت كافة

أرجاء مملكته، زيادة على هذا، لما كنت ابتعدت شبراً واحداً عن المكان وإن كنت مصراً على الاحتفاظ بالوجه الذي أنعم به، ولما كنت رضيت أن أصبح نِداً لسيدي العزيز روبرت.

اليونور : أنا معجبة بك أيها الشاب الذكي، فهل تريد أن تترك له ثروتك وأرضك وتتبعني؟ فأنا كالجندي مكاني الحالي في فرنسا.

اللقيط : (لروبرت): خذ أملاكي يا أخي، وأنا أكتفي بما قُدّر لي، إن قسمات وجهك تضمن لك خمسمائة ليرة إسترلينية سنوياً، مع ذلك يمكنك بيعها بمبلغ خمسة فلوس، ويكون هذا السعر غالياً.

(لإليونور) : سأتبعك حتى الموت سيدتي.

اليونور : لا، أنا أفضل أن تسير في عكس اتجاهي نحو الحياة.

اللقيط : نحن اعتدنا أن نكون خلف قادتنا.

الملك جون : ما اسمك؟

اللقيط : فيليب يا صاحب الجلالة، الابن الأكبر لسيرْ روبرت.

الملك جون : من الآن فصاعدا ستحمل اسم من يشبههم، اركع يا فيليب، ثم انهض وأنت أعلى مكانة مما كنت عليه، انهض يا سيرْ ريتشارد بلانتاجيني.

(يركع اللقيط ويمنحه الملك جون رتبة فارس)

اللقيط : (ينهض ويوجه كلامه إلى روبرت) يا أخي من جهة والدتي أعطني يدك، فأبي منحني الشرف، ووالدك أعطاك المال، والآن بوركت الساعة التي حبلت فيها أمي أثناء غياب سِيرْ روبرت والدي.

اليونور : هذه طريقة أفراد أسرة بلانتاجيني في التفكير، أنا جدتك يا ريتشارد، فلا تحرمني من هذا الاسم.

اللقيط : أنت جدتي بالمصادفة يا سيدتي وليس بالحق، ولكن لا يهم، ما دامت النتيجة واحدة في الحالتين.

الملك جون : (لروبرت) هيا يا فولكنبريدج، فقد نلت ما تتمناه، وصرت فارسًا بلا مال، أي تابعًا لا تبوعًا. (لوالدة الملك): هيا يا سيدتي، لنمضي بسرعة إلى فرنسا، فالأمر يتطلب العجلة.

اللقيط : (لروبرت) الوداع يا أخي، فأنا أتمنى لك حظًّا سعيدًا لأنك جئت لهذا العالم عن طريق المروءة والشهامة.

(يخرج الجميع ما عدا اللقيط الذي يواصل كلامه وحيدًا)

في مقابل الخطوة العظيمة التي قمت بها خسرت مواضع كثيرة، لذلك صرت الآن قادرًا على جعل جينون سيدة عظيمة، مساءً سعيدًا يا سِير ريتشارد، حفظك الله يا

صديقي، إن الارتقاء في الحديث ينسيك أسماء الناس، لذلك أنت بحاجة إلى كثير من الانتباه واللباقة يتطلبهما الوضع الجديد، لقد حضر أحد المسافرين، سأدعوه إلى تناول الطعام معي، وعندما أشعر بالشبع أمتص أسناني وأوجه حديثي إلى شخص من تلك البلاد بيدي، وأقول له: سيدي العزيز، هذا هو السؤال المطلوب الرد عليه، كما ورد في كتاب التعليم الديني يا سيدي، كلنا بأمرك وبتصرفك مستعدون لأداء كل خدمة، لكن الجواب جاء: كلا يا سيدي، أنا في خدمتك، وقبل أن تعرف الإجابة وما تتطلبه من رد، ثم تختصر عبارات المجاملة، ثم ينتقل حديثك إلى الحديث عن جبال الألب وغيرها، حتى يحين وقت العشاء، هذا هو المجتمع الذي يناسبني، أمّا اللقيط الحقيقي في مجتمعنا المعاصر — وأنا مثله مهما فعلت — فهو الشخص الذي يصدر عن موقف غير مألوف ويكون مختلفاً في كل شيء، وهو الذي يعتاد وضع هذا الطعم اللذيذ في عُرف أهل العصر، ألا وهو الكذب، لا بد من عمل دراسات على هذا السم لاتقاء أذاه؛ لأنه سينتشر يحتل كل درجات الارتقاء، ولكن من هذا القادم بمثل هذه السرعة على متن حصان؟ أو بالأصح

مـن هـي هـذه الزائـرة؟ ألـيس لهـا زوج يتحمـل عنهـا مـشقة وضع سياج حولها؟ يا إلهي، هذه هي أمي.

(تدخل السيدة فولكنبريدج وجيمس وكورني)

اللقيط : أخـي روبـرت، هـو ابـن سـيرْ روبـرت العجـوز، هـذا القـوي المدهش، هل تبحثين هكذا عن ابن سيرْ روبرت؟

السيدة فولكنريدج: ابن سيرْ روبـرت؟ نعـم، هـذا الصبي الأحمق، هوسر أبيه.

كورني، لماذا تسخر منه وهو ابن الرجل المذكور مثلك انت أيضًا؟

اللقيط : أيمكن أن تتركنا بمفردنا يا جيمس كورني؟

كورني : بكل سرور يا فيليب.

اللقيط : لماذا كل هذه الضجة بما ينتشر من شائعات مغرضة؟ سأعطيك كل التفاصيل بعد قليل.

(يخرج كورني)

يا سيدتي، أنا لست ابنًا لسِرْ روبـرت العجـوز، فقـد كـان بإمكان هذا الرجل أن يأكل نصيبي بأكمله يوم الجمعة دون أن ينقض صيامه، وكان بإمكانه أن يتصرف بصورة أفضل، لكن لنتكلم بصراحة، هل كان قادرًا على إنجابي؟ لا أعتقد ذلك، إنَّ سِرْ روبـرت لم يكن قادرًا لأننا نعرف

إمكانياته المحدودة، إذن يا أمي لِمَن أدين بجسدي هذا؟ بالتأكيد لم يكن سِيرْ روبرت يقوى على تكوين ساقٍ كهذه.

السيدة فولكنبريدج: هل أصبحت تتكلم مثل أخيك، حريٌّ بك أن تدافع أنت عن شرفي؟ ما معنى هذه الوقاحة والحقارة أيها العاق؟

اللقيط :بل قولي يا فارس، فقد صرت الآن فارسًا يا أمي المحترمة، مثل سادة باسيلسكو، نعم، نعم، لقد مُنحت رتبة فارس، وأنا ما زلت أشعر حتى اللحظة بالسيف الذي لامس كتفي أثناء احتفالي بهذا الترفيع، لكن السيرْ روبرت ليس أبي يا أمي، فقد تبرأتُ منه وتنازلت عن ميراثي، وهكذا تخليت عن نسبي وعن اسمي، لذا أرجوك يا والدتي أن تذكري لي خصال أبي، على أمل أن يكون رجلًا يناسبني.

السيدة فولكنبريدج: هل تنصلت من أسرة فولكنبريدج؟

اللقيط : تمامًا، كما أتنصل من الشيطان الرجيم.

السيدة فولكنبريدج: الملك ريتشارد قلب الأسد هو أبوك، ولقد نجح في إغوائي، فهيأت له مكانًا في سرير زوجي، وأنا الآن أدعو الرب أن يغفر لي هذه الذلة، وكنت أنت نتيجة هذه

الخطيئة التي طغت على إرادتي.

اللقيط : ونتيجة لهذا يا والدتي فأنا لا أتمنى أن يكون لي أب أفضل منه، إن لبعض الأخطاء مزايا على هذه الأرض، وخطيئتك أنت من هذا النوع، نعم يا أماه، أنا أشكرك من صميم قلبي؛ لأنك جاريت والدي في عواطفه، ولا يستطيع أحد على وجه الأرض أن يلومك، تعالي يا سيدتي، تعالي لأقدمك لأسرتي، فيهتف كل الناس: لو لم تُجارِ ريتشارد في عواطفه لارتكبت أشنع الأخطاء، كل من يَدّعي غير ذلك يكون متحاملًا كاذبًا، وأصرخ في وجهه: إن قوله غير صحيح.

(يخرجان)

نهاية الفصل الأول

الفصل الثاني

المشهد الأول

أمام سور انجيه في فرنسا

(يدخل أرشيدوق النمسا مرتديًا جلد أسد على رأس الجنود من ناحية، ومن الناحية الأخرى فيليب ملك فرنسا وجنوده، ثم لويس وكونستانس وأرثور ورجال الحاشية)

لويس : (لأرشيدوق) كم أنا مسرور بمقابلتك أمام أسوار انجيه أيها النمساوي الشجاع، وأنت يا أرثور، يا خليفة ريتشارد قلب الأسد، الذي قاد جيوشنا في حربنا المقدسة في الشرق، لقد جاء إلى هنا بعد إلحاحنا كي يحارب إلى جوارك، ويرد إليك حقوقك المغتصبة التي سلبها عمك الإنجليزي المغتصب ويعاقبه على ذلك، هيا، قبّله وأكرمه وتقرب إليه.

أرثور : (للأرشيدوق) أطال الله بقاءك وأمد في عمرك بعد موت قلب الأسد؛ لأنك تحيط أبناءه برعايتك وحفظك وتحافظ على حقوقهم، لذلك يدي ممدودة إليك

بالحب، وقلبي مملوء بالمودة، فمرحبًا بك أيها الدوق أمام أبواب أنجيه.

لويس : (لأرثور) أيها الولد الشريف، من هذا الذي لا يريد أن يقف بجوارك حتى تستعيد حقوقك.

للأرشيدوق: ماله !!

(يعانق أرثور): هذه القبلة التي أضعها على جبينك هي دليل على التزامي بأن أعيد إليك حقوقك، فلن أرجع إلى بلادي قبل أن تدين لك بالولاء مقاطعات فرنسا، وهذا الساحل الذي يمنع مد المحيط، ويجعل سكان هؤلاء الجزر بمنأى عن هذه البلاد وخاصة إنجلترا التي يحيطها البحر من كل اتجاه، ويشكل سياجًا منيعًا يحميها من أي محاولة للاختراق، ولكنها ما زالت تحتك؛ لأنك ملكها الشرعي المعظم، وأنا حتى الآن ما زال سلاحي في يدي ولن أفكر في العودة إلى بيتي حتى يتم لك الأمر.

كونستانس : (للأرشيدوق) أرجوك، تقبل شكري أنا والدته على إخلاصك لي حتى يأتي اليوم الذي يشتد عوده ويصبح قويًا قادرًا كي يوفيك حقك.

الأرشيدوق : العناية الإلهية تقف بجوار أصحاب القضايا العادلة ومن يحاربون في سبيلها.

الملك فيليب: لنذهب إذن إلى المعركة، استدعوا أفضل مهندسينا لاختيار أفضل المواقع لوضع المدافع حتى ندك وندمر هذه المدينة ولو اضطررنا للموت في سبيل ذلك.

كونستانس : انتظروا رد سفارتكم، ولا تتعجلوا الأمور حتى لا تلوثوا مواقفكم الشجاعة بالهمجية والتصرفات المتعجلة، فإن السيد شاتيون بلباقته وحنكته يستطيع أن يحصل على حقوقنا وحقوق إنجلترا بدون أن نريق نقطة دم واحدة من دماء الأبرياء.

الملك فيليب: يا للعجب يا سيدتي.

(يدخل شاتيون)

فقد وصل شاتيون بما كنت تطلبينه، وسنعرف الآن بوضوح ما ترغب فيه إنجلترا، هيا أيها المولى النبيل، هات ما وراك من الأخبار.

شاتيون : هيا، لا بد من فك الحصار عن هذا الموقع، فهو غير آمن، ولتعمل القوات عملًا أنفع؛ فإن الإنجليز قد لجأوا إلى السلاح ردًا على طلباتكم التي أثارت حفيظتهم، وهم يستعجلون الزحف إلى هذه المنطقة بعد أن ساعدتهم الرياح والظروف وأمنت وصولهم إلى هذه المنطقة، وهم واثقون من الغلبة والنصر نظرًا لأعدادهم الوافرة، وعلى

رأسهم الملكة الأم يحركها دافع الانتقام الذي جعل الدم يغلي في عروق رجالها، ومعها ابنة أخيها السيدة بلانش الأسبانية، وكذلك لقيط ينسب للملك الراحل، وقد تخلى الجميع عن راحتهم وهدوئهم، وجاءوا وكلهم حماسة وأمل في تحقيق الفوز المجيد إلى جانب نخبة من رجال الدين.

(تقرع الطبول)

ها هي أصوات الطبول تؤكد ما أقوله لكم حول استعدادهم وتأهبهم للقتال والنصر، لذا أنصحكم بالاستعداد لمواجهتهم كالأبطال.

الملك فيليب: كم هي مفاجأة هذه الحملة العسكرية.

الأرشيدوق : وبمقدار ما هي مفاجأة يجب أن نزيد من إرادتنا وقدراتنا الدفاعية للدفاع عن أنفسنا، فمرحبًا بهم في أي وقت.

(يدخل الملك جون والملكة الأم اليونور وبلانش واللقيط وبمبروك وعدد من الجنود)

الملك جون : نتمنى السلام لفرنسا، ما دامت ستعطينا حقوقنا، وإلا سنكون مضطرين لاستنزاف دمائها، فسنعاقبها على وقاحتها وازدرائها ورفضها ما عرضناه عليها.

الملك فيليب: ونحن أيضًا نتمنى السلام لإنجلترا إذا انسحب

محاربوها من فرنسا وعادوا إلى بلادهم ليعيشوا في سلام، نحن في سبيل حبنا لإنجلترا وشعبها، نكد ونكدح ونتعب ونحن نرتدي الدروع التي تحمينا من ضربات الأعداء، هذا ما يجب أن تفكر فيه ويشغلك ويشغل بالك، ولكنك أبعد ما تكون عن حب بريطانيا التي انقلبت على مليكها الشرعي الصغير السن، الذي اغتصبت حقه بالتاج وقطعت تسلسل وراثة عرشه وسيطرت على مقاليد الحكم بدلًا منه.

(يشير إلى أرثور): هل تذكر ملامح أخيك جوفروا؟ أنت وهذا الغلام تكادان تتطابقان تمامًا في ملامحكما، وتتجلى ملامح العظمة التي ماتت في ملامح جوفروا، لقد كان جوفروا شقيقك الأكبر، وكان عرش إنجلترا من حقه، ثم تلاه ابنه في الوجود فاستحق أن يرث العرش بعد أبيه، فكيف أمكنك أن تغتصب حقه وتستولي على ملكه؟ فلا بد أن يعود إلى صاحب الحق حقه طالما به عرق ينبض، وطالما الحياة تملأ جوارحه، فلا بد أن يعود إليه تاجه وملكه الذي تغتصبه.

الملك جون : من أين لفرنسا هذه القوة والسلطة التي تحتمي بها لتجعلني أجيب على أسئلتك؟

الملك فيليب: من الإله العادل الذي لا يرضى باغتصاب الحق، ومن العقل الذي يتدبر عقوبة المعاصي والذلات والتطاول على القانون وعواقب ذلك ونتائجه، فهذا الديان العادل جعلني قائمًا ووصيًّا على مصالح هذا الولد، ونتيجة لذلك أنا أتهمك بالعدوان، وأستمد العون منه تعالى لأنزل بك أشد العقوبة.

الملك جون : الويل لك أيها الظالم، أتريد أن تستولي على هذه السلطة بحجة حق الغلام؟

الملك فيليب: اسمح لي... أنا من يتصدى لكل مغتصب ويضعه عند حده.

اليونور : (للملك فيليب) أتظن الملك جون قد اغتصب فرنسا؟

كونستانس : (للملك فيليب) من فضلك، اترك لي إجابة هذا السؤال(للملكة الأم) إن ابنك هو المغتصب.

اليونور : ابتعدي عن وجهي أيتها الوقحة، أتريدين لهذا اللقيط أن يصير ملكًا حتى تسيطري على البلاد وعلى الجميع من خلاله؟

كونستانس : لقد حافظت على شرف ابنك، فكان سريري دائمًا طاهرًا له، كما فعلت مع زوجك، وانظري إلى قسمات وجه هذا الغلام، إنه يشبه أبيه جوفروا، كما تشبهين أنت

جون كما تتشابه قطرات الماء مع بعضها، وكما يشبه الشيطان أمه، أتتهمين ابني وتصفيه باللقيط، أقسم لك أن أباه لم يولد بطريقة أشرف أو أسمى منه، ولما جاء إلى الحياة لو لم تكوني أمه.

اليونور : (لأرثور) هذه أم مشكوك في أمرها أيها الولد، تريد أن تلطخ سمعة أبيك.

كونستانس : وهذه جدة ماكرة أيها الحفيد، تريد أن تلوث سمعتك.

الأرشيدوق : التزموا الهدوء يا رفاق.

اللقيط : (يشير إلى الأرشيدوق) استمعوا إليه.

الأرشيدوق : (للقيط) من أين جئت أيها الملعون؟

اللقيط : من الجحيم الذي ستذهب إليه يا سيدي، ولو أمسك بك إبليس على انفراد لسلخ هذا الجلد الذي تتباهى به ولسحق عظامك سحقاً.

(يشير إلى جلد أسد يرتديه الأرشيدوق تحت درعه)

أنت ثعلب تروي عنه الحكايات وهو غير قادر إلا على لمس الأسد الميت من ذيله، كن على حذر مني فإن أمسكت بك فسأهشم رأسك، وسألون جلدك بلون الدم.

بلانش : فعلاً، يليق هذا الجلد بصاحبه الأصلي الذي أخذته منه لتتباهى به.

اللقيط : هذا الجلد لا يليق بك أيها الحمار، وإنما يليق بك حافر الحمار، لكني سأخلصك من هذا الثقل الذي على كتفك، أو أضيف إليه ما يقصم ظهرك.

الأرشيدوق : من هذا الذي يهددني ويتوعدني أيها الملك فيليب؟ عليك أن تحسم الأمر وتقرر ما تفعله.

الملك فيليب: كفوا عن هذه الثرثرة وهذا الهراء أيها البلهاء، أيها الملك جون، هذه طلباتنا بالتحديد: باسم أرثور أطالبك بتسليم إنجلترا وأيرلندا وانجو وتودين وماين، فهل تقبل التنازل عنها طواعية وتلقي السلاح وتأمن على نفسك؟

الملك جون : أتتهددني؟! لن أفعل ذلك ما دمت حيًّا، إنني أقبل التحدي، وأخيرك أنت وفرنسا يا أرثور، إما أن تخضعا لي وتكونا تحت تصرفي فتنالا برضاي أضعاف ما قد تسلبونه وتغتصبونه، استسلم أيها الولد.

اليونور : أقبل علي يا حفيدي الحبيب.

كونستانس : يا للسخرية! يذهب الصبي إلى جدته ويسلمها مملكته في مقابل أن تعطيه خوخة وكرزة وتينة، يا للكرم، ويا لها من جدة سخية!

اليونور : (لكونستانس بينما هو يبكي) كفوا عن الكلام، ليتني مت قبل أن أرى هذه المشاكل تثار حولي، فإن تصرفات أمه

الوضيعة جعلته يشعر بالخزي حتي سالت دموعه.

كونستانس : (للملكة الأم) سواء كان هذا الكلام صحيحا أم لا، ففي كل الأحوال العار يلحقه بسبب ما جلبته عليه جدته لا أمه، والدموع التي تذرفها عيناه تجعل السماء ترثي لحاله، وتوحي بأن الرب سينصفه ويعيد إليه حقه ويقتص منكم جراء ما سببتموه من آلام.

اليونور : إنك حقًا مجرمة، تسيئين للأرض والسماء معًا.

كونستانس : كفي عن اتهامي بما لست مسئولة عنه، فأنت وولدك البكر من دفع بهذا الغلام إلى الشقاء؛ فقد استوليتما على الأملاك والتاج والحقوق التي كانت حقًا مشروعًا له، لقد اقتص الرب منك في هذا الغلام بسبب ذنوبك؛ لأنه خرج من أحشائك الملوثة.

الملك جون : كفي عن هذا الهراء أيتها المرأة المجنونة.

كونستانس : إليك آخر حديثي في هذا الأمر، لقد اقتص الله منك في أبنائك وأحفادك، أما هذا الولد المسكين فقد تحمل عنك كل ذنوبك، وخلاصة الأمر، أنه لا أحد يستحق القصاص غيرك.

اليونور : أيتها الحمقاء، ألا تدركين أنني أستطيع كتابة وصية أجرد ابنك بها من كل ألقابه؟

كونستانس : هذا ليس غريبًا عنك؛ فأنت تستطيعين كتابة وصية مزورة تعبر عن إرادة امرأة وضيعة مستهترة وجدة ظالمة.

الملك فيليب: اصمتي يا سيدتي واقصري في حديثك، فأنا لا أريد سماع مثل هذه المهاترات، اسمحوا لرجال أنجيه الشجعان ليدخلوا مع ألحان الموسيقى، ليعلنوا عن الفريق الذي سينضمون إليه؛ أرثور أم جون؟

(ينفخ البوق ويظهر مواطنون من أنجيه عند الأسواق)

مواطن : من الذي أتى بنا إلى هذه الأسوار؟

الملك فيليب: إن فرنسا ترغب في معرفة رأيكم بشأن إنجلترا .

الملك جون : لا، بل إنجلترا هي التي تطلب ذلك، فيا رجال أنجيه، يا رعاياي المحبوبين...

الملك فيليب: يا رعايا أرثور المكرمين، لقد استدعيناكم لنتبادل الآراء سلميًا...

الملك جون : وذلك طبعًا في مصلحتكم، فلا بد أن تعلموا أن فرنسا ما جاءت إلا لإلحاق الأذى بكم وتدميركم، فكل هذه الاستعدادات الفرنسية والمدافع المصوبة نحوكم إنما هي لتدميركم وقذف منازلكم بالنار والدمار، ولولانا لانهارت الحجارة الصامدة التي تحيط بكم فوق رءوسكم من أثر مدفعيتهم، لكني بصفتي ملككم جئت للحيلولة دون وقوع

ذلك، ولأنقذ مدينتكم مما ينتظرها من الذل والخراب، فانظروا كيف تحول موقفهم من الحرب إلى المفاوضة بفضلنا، ويوجهون إليكم معسول الكلام يغلفه الغمام الأبيض الذي يحجب عنكم رؤية غلطتهم المميتة، لذا نطلب منكم أن تعطوهم ما يستحقونه وتسمحوا لنا نحن بالدخول، فإن ملككم وقواته المرهقة من جراء السير الطويل تطلب منكم ملاذًا داخل أسوار مدينتكم.

الملك فيليب: (يمسك بيد أرثور) احكم بيننا بعد أن تسمعنا نحن الاثنين، إن هذا الشاب الذي بجواري والذي تمسك به يدي اليمنى هو الابن الأكبر لشقيق هذا الرجل الذي يريد اغتصاب حقه في الملك، ويملك على جميع أراضيه، لقد جئنا بأقدام متثاقلة لنعيد لهذا الشاب سيادته التي انتهكت أمام أسوار مدينتكم، نحن لسنا أعداءكم؛ لأن غيرتنا العادلة التي تشمل هذا الفتى المظلوم تجعلنا نسارع إلى نجدتكم بروح العطف والإنسانية، ولهذا أطلب منكم أن تنصروا من يستحق أن تقفوا بجواره، أقصد هذا الأسير الصغير، في هذه اللحظة ستنطلق أسلحتنا لتمزق أعداءكم، وسيرتفع دوي مدافعنا ليصل إلى عنان السماء، ثم بعد أن نؤمنكم سننسحب برفق دون أن نسبب أي ضرر،

ومـن ثـم نعـود إلى بلادنـا بعـد أن نكـون قـد حافظنـا علـى الـدمـاء الـتي أتينـا لنقـدمها في سبيل الـدفاع عـن مـدينـتكم بعـد أن نكـون قـد وطـدنا الأمـن وحافظنـا علـى أولادكـم ونـسائكم، أمـا في حالـة الـرفض فستـضمن أسـوارنا العاليـة حيـاة مقـاتلين وحيـاة الإنجليـز اللاجـئين، فعلـيكم – إذن – أن تختاروا بـين أن نكـون سـادة مدينـتكم الـتي جئنـا لنـصون كرامتها ومصلحتها، أو أن نـصب علـيكم غـضبنا ونخـوض في بحر من الدماء، وستصبح دولتكم من ممتلكاتنا.

المواطن : بإيجاز، نحن رعايا ملك إنجلترا، ونحن نصر على دخـول هذه المدينة للمحافظة على حقوقه.

الملك جون : إذا كنتم تريدون نصرة الملك فدعوني أدخل.

المواطن : لا يمكنـنـا أن نـدعك تـدخل، وسـنظل محـصنين خلـف أسـوار مـدينـتنا حتـى يـتمكن أحـدكم مـن إثبـات حقوقـه الملكية.

الملك جون : أليس التـاج الـذي علـى رأسـي خـير دليـل علـى أحقـيتي للملـك؟ وإذا كـان هـذا لا يقـنعكم فـسآتي لكـم بـثلاثين ألف شاهد من الإنجليز الأقوياء.

اللقيط : (على حدة)أي من اللقطاء وغيرهم.

الملك جون : أنـا علـى أتم الاسـتعداد للـدفاع عـن لقـبي بحيـاتي وحيـاة

رجالي.

الملك فيليب: وهل تملك كل هؤلاء الشجعان؟ وهل أنت واثق منهم؟

اللقيط : (على حدة) لا بد أن يكون بينهم بعض اللقطاء.

الملك فيليب: نعم، وبالتأكيد هم هنا ليثبتوا كذبه.

المواطن : إلى أن تجمعوا على رأي وتقرروا من هو الأحق باللقب سنحجب عن كليكما هذا اللقب.

الملك جون : إذًا، فأنا أدعو الله أن يغفر ذنوب كل من يقتل غدًا إذا رفض الخضوع لإرادتنا وملكنا.

الملك فيليب: آمين آمين، هيا استعدوا أيها الفرسان وجهزوا أسلحتكم.

اللقيط : أيها الفارس النبيل جاورجيوس، أنت من قتل التنين وجلس على ظهره منذ ذلك الحين، علمنا كيف تسدد الضربات وكيف تصيب هدفها؟ (للأرشيدوق): لو أقمت في عرينك، وجلست بجوار زوجتك لجعلتك ترتدي رأس بهيمة مع جلد الأسد هذا، وجعلت منك مسخًا مشوهًا.

الأرشيدوق : كفاكم عبثًا؟

اللقيط : ترقبوا واستعدوا وارتعدوا يا من تسمعون زئيرنا.

الملك جون : هيا بنا إلى السهل حتى نطمئن على جنودنا وننظمها.

اللقيط : أسرعوا إذًا، لنأخذ أفضل الاستعدادات في ساحة المعركة.

الملك فيليب: (يكلم لويس بصوت خافت) نعم، نعم، وأنت فوق الأماكن المرتفعة، يجب أن تعد جنود الاحتياط، فلنجعل توكلنا على الله فيحفظ حقوقنا.

(يخرجون)

(تسمع الموسيقى، وتتحرك الجيوش ثم تنسحب، يتقدم المنادي الفرنسي على صوت البوق نحو أبوابأنجيه، ويخاطب المتسارعين نحو الأسوار)

المنادي الفرنسي: يا رجال أنجيه، افتحوا أبوابكم، واستقبلوا أرثور الشاب دوق بريطانيا، لقد جاء هذا الشاب بصحبة فرنسا ليبكي الأمهات الإنجليزيات الثكالى اللاتي قتل أولادهم، بينما تسيل دماء الأرامل اللاتي يعانقن جثث أزواجهن، لقد أعلن الفرنسيون أرثور ملكاً على إنجلترا وعلينا، وقد جاءوا وأعلامهم ترفرف فوق رءوسهم كفاتحين ومعلنين ذلك.

(يدخل المنادي الإنجليزي وصوت الأبواق يملأ الفضاء)

المنادي الإنجليزي: تراجعوا يا رجال أنجيه، فقد جاء الملك جون ملككم وملك إنجلترا وهو ظافر منتصر، فقد تمكنا من سحق الفرنسيين، وعادت أعلامنا إلى الأيدي التي دفعتها لتخفق فوق رءوسنا، وعاد جنودنا وأيديهم ملطخة بدماء

أعـــدائهم المجنـــدلين علـــى الأرض، افتحـــوا أبـــوابكم للمنتصرين ودعوهم يدخلون.

المواطن (من أعلـى الأسـوار): أيها المنـادون مـن أعلـى الأبـراج، لقـد تمكنـا مـن رؤيـة مـا حـدث منـذ البدايـة، وقـد أجمـع خبراؤنـا علـى تعـادل الجيشين بعـد أن رأوا اصطدامهما في المعركـة مـن البدايـة حتـى النهايـة، فقـد تبـادل الجيـشان الـضربات، وقـاومـت القـوة القـوة، وقوبـل الـدم بالـدم، فالخـصمان متعـادلان، ونحـن نحبهمـا معًا إلى أن ينتصر أحدهما علـى الآخر، وإلى أن يحدث هذا سنحتفظ بمدينتنا، ولن يتمكن أحـد مـن الاسـتيلاء عليهـا بمفـرده، وسـتبقى صـديقة لكليهما.

(ويدخل الملك جون ويتبعه جيشه وبلانش والملكة الأم اليونور واللقيط من جهة، ولويس والأرشيدوق من جهة أخرى).

الملك جون : (للملـك فيليـب)ألا يـزال دمـك ينـزف يـا فيليـب؟ وهـل سـتترك حقوقنـا تـضيع هـدرًا هكـذا؟ هـذه الحقـوق الـتي تـستبيحها انت ودولتـك وتـضع العقبـات في طريقهـا حتـى تحيد وتميل عن طريقها الطبيعي.

الملك فيليب: وأنت يا جون، يا من تدعي أنك ملك إنجلترا، لم تفعل أكثـر ممـا فعلنـا نحـن الفرنسيين في هـذه المعـرة الحاميـة،

بل أقسم بأنك خسرت أكثر منا، ألا فاعلم أننا لن نلقي السلاح الذي حملناه من أجل العدالة ومن أجل قضية عادلة قبل أن نخضعك أنت الذي أشهرته في وجهنا، ونزيد من عدد قتلاك ونضخم خسائرك في هذه الحرب الضروس وتقرنها اسمك الذي سيرتبط بهذه المجزرة الرهيبة.

اللقيط : آه، كما اهتز مجدك يا صاحب العظمة، فكلما زاد دم الملوك نزيفاً كلما بالغ الموت في حصد الأرواح في الحرب المتلهفة للضحايا، ولها أسنان وأضراس من سيوف الجند تمزق بها لحوم البشر، منتهزة فرصة الصراع المستمر بين الملوك، ابتعدي أيها المجازر عن هذه السهول المخضبة بالدماء، فالقوات متساوية والعبقريات متوازية، فابتعدي أيها الحرب، وتوقف يا نزيف الدم، وكف يا موت عن حصد الأرواح.

الملك جون :(للمواطن) أي الطرفين يريده السكان ملكاً عليهم؟

الملك فيليب: تكلموا أيها المواطنون لأجل إنجلترا، من تريدون أن يكون ملككم.

المواطن : ملكنا هو ملك إنجلترا ، وسنعرفه عما قريب.

الملك فيليب: اعترفوا بي أنا لأني أدعم حقوقكم.

الملك جون : بل اعترفوا بي أنا ؛ لأني أمثل أهم مصالحي الشخصية، وأنا سيد وجودي هنا في أنجيه.

المواطن : إن هناك قوة أعظم منا تؤكد ذلك، وطالما ظلت الأسوار مغلقة سنخفي شكوكنا خلف أبوابنا المغلقة التي احتمت بها ضمائرنا حتى يظهر لنا من هو الملك الأصيل.

اللقيط : بحق السماء، يا أهالي أنجيه، إن هؤلاء يجلسون خلف ابوابهم وحصونهم، كأنهم في مسرح يتابعون من خلاله مشاهد الموت وفصوله وهم مشدوهون، اعتمدا علي يا صاحبي الجلالة، وخذا بنصائحي، فأنا أرى أن تكونوا أصدقاء في الوقت الحاضر ولو لفترة، ثم توجهوا مدافعكم وآلامكم الحربية باتجاه هذه المدينة حتى تدمروها وتمحوا ملامحها تمامًا، فأنا أود أن أرى وسائل الدمار تنزل على هؤلاء المغفلين فتبيدهم عن بكرة أبيهم، وبعد إتمام الأمر فرقوا القوى وفرقوا أعلامكم ثم لتتقابلوا وجهًا لوجه، فيبتسم الحظ لأحدكما ويخصه بمسرات هذا اليوم ويطبع على جبينه قبلة الانتصار والمجد، فما رأيكم في هذا الرأي أيها الملوك؟ أليس رأيًا حكيمًا؟

الملك جون : يا إلهي؛ هذا الرأي يعجبني كثيرًا. (للملك فيليب) ما قولكم أيها الفرنسيون في هذا الرأي؟ ندمج قواتنا ثم

نهدم بيوت أنجيه، ونجعلها ركامًا، وبعدها نتقاتل ونرى لمن سيكون النصر والغلبة.

اللقيط : (للملك فيليب) إن هذه المدينة قد أرهقتنا وخذلتنا، فإذا كنت ملكًا حازمًا قادرًا وجِّه مدفعيتك نحو أسوار هذه المدينة المتغطرسة، وسنفعل نحن أيضًا، وبعد أن ندكها سنعود مرة أخرى للتحدي، وسيكون نصيبنا إما النصر والنعيم وإما الجحيم المقيم.

الملك فيليب: ليكن الأمر كذلك، هيا حدد لي معالم الهجوم.

الملك جون : سأوجه مدافعي من جهة الغرب لدك معالم هذه المدينة.

الأرشيدوق : وأنا سأوجهها من جهة الشمال.

الملك فيليب: أما مدافعي فسترمي قذائفها المدمرة من جهة الجنوب.

اللقيط : (على حدة) ما أبرع هذه الخطة، سيتبادل النمساويون والفرنسيون القذائف وجهًا لوجه، فلنشجعهم على ذلك. (بصوت مرتفع) الأفضل لي أن أخرج من هنا.

المواطن : اسمعوا أيها الملوك، تخلوا عن مطامعكم وانتظروا لحظة، وسأعطيكم السلام، ادخلوا هذه المدينة من غير ضرب ولا هدم، اتركوا هؤلاء الجنود يموتون على أسِرّتهم بعد أن جاءوا لاهثين ليموتوا في ساحة القتال، لا تكابروا، واصغوا إليّ.

الملك جون : تكلم ولا تخف، فكلنا آذان صاغية.

المواطن : هذه الفتاة الجميلة بلانش هي ابنة شقيق إنجلترا، احسبوا عمر ولي العهد لويس وسن هذه العذراء الجميلة، فستجدوا تقاربًا بينهما، فإذا كان الأمير يبحث عن الحب والجمال فأين يجد أجمل من بلانش؟ وإن كان يبحث عن الأخلاق والطهر فأين يجد أطهر وأنقى من بلانش؟ وإن كان يبحث عن حليف فأين يجد دمًا أنبل وأطهر وأنقى من بلانش؟ إنها مناسبة له تمامًا، فهي كاملة الأوصاف من جميع النواحي: جمال وفضيلة ونسب، إن الصفات التي في كليهما لو اتحدت ستؤلف وتكمل إنسانًا واحدًا؛ لأن كل واحد منهما يمثل نصف إنسان كامل، آه لو اتحد هذان الينبوعان الصافيان، لا بد من أن يتم هذا الزواج الذي سيحمي مصالح الأمير والأميرة، وسيكون له أثره على الفريقين، فبعد هذا الزواج ستفتح الطريق بسرعة تفوق عنف البارود المتفجر، وسنفسح لكم مجالًا للعمل داخل مدينتنا، وإلا عليكم أن تعلموا وتتأكدوا من أننا سندافع عن مدينتنا، وأن الموت في أثناء غضبه ليس أكثر ضراوة منا ونحن ندافع عن مدينتنا، فالبحار ليست صماء أثناء هياجها، والأسوار ليست أكثر تحفزًا،

والجبال والصخور أكثر تأثيرًا على سير الأمور.

اللقيط : انظروا إلى هذا الرجل، إنه يرتجف خوفًا، فيا للعجب إن معظم كلامه يدور حول القتلى والجبال والصخور والبحار، ثم يتحدث بمودة عن أسود تزأر وعن فتاة في عامها الثالث عشر، فمن أين له هذا الحماس؟ إن صوته يشبه صوت قنبلة يتصاعد منها دخان بارودها في الفضاء، ويمسك بيده سوط يشبه لسانه السليط، لم أفقد صوابي أبدًا إلا عندما سمعت ألفاظه الشديدة الأثر منذ أول لحظة ناديت فيها والد أخي: يا أبي.

(الملك فيليب ولويس والأرشيدوق يتحدثون بصوت خافت)

اليونور :(على حدة للملك جون) علينا أن نقبل العرض يا ولدي، ونحقق هذا الزواج؛ لأن هذا الرباط سيساعد على تثبيت تاج غير مضمون بعد، وليس على قياس رأسك، فلا تتاح لهذا الفتى الضعيف قوة كافية، وأنا أرى في عيون الفرنسيين ميلًا لذلك أيضًا، ألا تراهم يتهامسون؟ أسرع قبل أن يغيروا رأيهم بدعوى وخز الضمير الحي.

المواطن : لماذا لا تستجيبون لهذا العرض المليء بالصداقة لإنقاذ هذه المدينة.

الملك فيليب: (للملك جون) أنت بدأت بمفاوضة هذه المدينة، فتكلم

انت أولًا، ما رأيك؟

الملك جون : (للملك فيليب) أوافق على هذا الرأي ما دام ابنك قادرًا على تصريف أمور الزواج، فإن ما تناله الأميرة بلانش يوازي ما تناله ملكة، ما دامت كل ما تشتمل عليه المنطقة من جهة البحر، بالإضافة إلى مقاطعات انجو وتورين وماين وبوتو وهي من جملة المقاطعات التابعة لتاجي وسلطتي، ستلحق بمخصصاتها بسبب هذا الزواج السعيد، هذا بالإضافة إلى شرفها وكرامتها ولقبها النبيل وجمالها وتربيتها، كل هذا سيجعلها من أفضل أميرات الدنيا.

الملك فيليب: (للويس) ما رأيك يا بني؟ انظر جيدًا إلى هذه الفتاة الرائعة.

لويس : هذا ما أفعله يا مولاي، وقد رأيت في عينيها فتنة طاغية، وقد رأيت فيها ما يتوافق مع شخصيتي، وأقسم لك أنني لم أجد نفسي مجذوبًا هكذا ومشدودًا إليها إلا عندما انطبعت ملامحي في عمق لحظها المتعطف.

(يكلم بلانش بصوت خافت)

اللقيط : (على حدة) ملامحه في عمق لحظها المتعطف"، لقد نسي أن يقول أنه يحب الجاه والأموال التي سيحصل

عليهما بسبب ذلك أيضًا، بعد أن تساءل عن شعور هذه الفتاة، إن هذا العاشق يجد في ذلك عقابًا على الخيانة الظاهرة العيان، فيا له من غبي! أصبح قلبه سجين قلب حبيبته.

بلانش : (لولي العهد) إن رغبة عمي لها منزلة خاصة عندي، فإن كان وجد فيك ما يلفت انتباهه وعطفه فهذا دليل على نيل رضاي، وبصريح القول، كسب ودي ومحبتي، أنا لا أدعي أن كل ما فيك من صفات يستحق حبي وتقديري، ولكني أؤكد لك أني لا أرى فيك ما يثير أي تردد أو نفور.

الملك جون : بماذا تتهامسان أيها البلبلان؟ وماذا تقول ابنة أخي؟

بلانش : إنني دائمًا أقبل ما تراه في صالحي وفق حكمتك السديدة.

الملك جون : تكلم إذًا يا ولي العهد، هل تستطيع أن تحب هذه الفتاة؟

لويس : بل اسألني إن كنت قادرًا على الامتناع عن حبها والتعلق بها؟ لأني منذ الآن لا أستطيع العيش بدونها.

الملك جون : إذًا أمنحك ما تستحقه هذه الفتاة، وما لها عندي خمس مقاطعات هي: فاكسان وتورين وماين وبواتو وانجو، هذا بالإضافة إلى ثلاثين ألف قطعة من العملة

الإنجليزية، فيا ملك فرنسا، إن أعجبك هذا فمر ولي العهد والأميرة أن يمسك كل منهما بيد الآخر.

(بلانش وولي العهد يمسك كل منهما بيد الآخر)

الملك فيليب: والآن يا سكان أنجيه، استعدوا لاستقبال الزفاف وافتحوا الأبواب؛ فقد تم هذا الارتباط بفعلكم، وستقام مراسم الزفاف في معبد السيدة العذراء، أنا واثق أن السيدة كونستانس ليست موجودة هنا، بالرغم من أن حضورها ضروري عند إجراء عقد الزواج الذي جرى الاتفاق عليه الآن بسهولة، من يعرف مكانها هي وابنها عليه أن يدلنا عليه.

لويس : إنها حزينة كئيبة، تجلس في خيمة سموك.

الملك فيليب: لا بد من أن تزيل هذه المعاهدة الحزن الذي في قلبها وتسكب السلوى في قلبها (للملك جون): يا أخي الإنجليزي، كيف نرضي هذه الأرملة المشاكسة التي جئنا لكسب ودها، والله يعلم كم كابدنا وتحملنا من أجل الوصول إلى ذلك.

الملك جون : لكل مشكلة حل، فسنلبي بعض رغباتها وسنرفع مقام أرثور ونمنحه لقب دوق بريطانيا، وكونت ريتشموند، وفي نفس الوقت سنجعله حاكم هذه المدينة الجميلة الغنية،

وبـذلك نكـون قـد عملنـا علـى إرضـائها، أرسـلوا مـن يستدعيها ويجيء بها على عجل لتشاركنا احتفالنا، فلا بد أن نسرع بإتمام مراسم الزفاف.

اللقيط : (على حدة) إن هذا العالم مليء بالمتناقضات. فقد تملك الهوس والجنون هؤلاء الملوك، وخاصة هذا الاتفاق الذي جعل جون يتنازل عن جزء من مملكته لأرثور، حتى يضع حداً لأطماعه في كامل المملكة، وهذا الفرنسي الذي تخلى عن مبادئه التي جاء من أجلها، قد جاء إلى ساحة القتال كجندي متحمس، وهذا الماكر الخبيث الذي يعرقل ويمنع التصاميم، وهذا المنافق الذي يشوه كل قصد شريف، هذا المخادع الذي يقسم كل يوم يميناً، ثم يستغل به الجميع ثم لا يبرّ به، إنه يستغل الجميع من ملوك ومتسولين وشيوخ وشباب، ولم يبق إلا أن يسلب العذراء أغلى كنوزها، وينتحل صفة البتولية، هذا الخبيث الذي لا يرى إلا مصلحته فقط، هذه المصلحة التي تخدع العالم في كل العصور، هذه المصلحة التي تحول العداء إلى تحالف فتضل سواء السبيل مبتعدة عن أهدافها الأساسية، هذه المصلحة هي التي جعلت حرباً بدأت من أجل دفع الظلم وإعادة الحق تنتهي إلى سلام

مجحف غاشم، لكن لماذا أفسرها هذه التفسير؟ ألأني لم أحصل على ما أتمنى؟ لن يفلح سحر هذه الملائكة في استمالتي إليها إذا أردت دغدغتها، فما دام الملوك يحنثون بأيمانهم من أجل الوصول إلى مقاصدهم فسيحملني ترفعي على تجنب دنيا الشقاء، فيا أيتها المصلحة ستكونين هدفي وغايتي وإلهي الذي أسجد له وأعمل من أجله.

الفصل الثالث

المشهد الأول

في خيمة ملك فرنسا

(تدخل كونستانس وأرثور وسالزبري)

كونستانس : (لسالزبري) أوه! ماذا تقول! أذهبا ليتزوجا؟ مضيا ليقسم كل منهما على تأمين السلام لصاحبه؟! ها هو دم فاسد يختلط بدم فاسد آخر، نعم ذهبا ليصبحا صديقين، أتقول أن لويس سيحظى ببلانش التي تمتلك عدة مقاطعات؟ لا بد أنك أخطأت السمع والتعبير، فكر جيداً، وأعِدْ على مسامعي ما قلته، هذا مستحيل، أنت تتكلم وتقول أن الأمر تم هكذا ببساطة، كلامك هذا لا يقوى على إقناعي، صدّقني أنا أؤكد لك أن قولك هذا غير مقنع، وأنا عندي دليل يؤيد عكس ما تدعي، ستعاقب على ما قلته، كل ما قلته لم أطمئن إليه، فأنا أرملة مريضة ولا أستطيع مواجهة الهلع، لماذا تهز رأسك هكذا؟ لِمَ تنظر لابني هذه النظرات الحزينة والدموع تسيل من عينيك؟ هل هذه الإشارات تثبت صحة كلامك؟ هيا،

أعد على مسامعي ما قلته، ليس الحديث الأول فقط، بل ما تدل عليه هذه الإشارات التي تؤكد صحة روايتك.

سالزيري : اقسم لك إنها صحيحة أكثر مما يمكن أن يخالطك الشك بأنها غير حقيقية.

كونستانس : علّمني كيف أموت وأرتاح من هذه الشكوك، كما تحاول أن تعلمني كيف أصدق حبك وخوفك عليّ، أوه ما هذا؟ لويس يقترن ببلانش، فإلى أي منزلة تزينت يا ولداه؟ فرنسا أصبحت صديقة إنجلترا، ماذا نزل بي من الذل والعناء؟ (لسالزيري) اذهب يا صديقي، فلم يعد بإمكاني أن أراك، هذا الخبر جعلك أحطّ الرجال على وجه الأرض.

سالزيري : وماذا جنيت إذن أيتها السيدة الصالحة سوى إخبارك بما جناه غيري من شر وأذى.

كونستانس : هذا الفساد القبيح قد جعل ألسنة المعادين والمخالفين تتحدث وتتكلم عنه باستمرار وبلا هوادة.

أرثور : أرجوك يا سيدتي أن تقبلي بالأمر الواقع.

كونستانس : ألنت من يطلب مني أن أقبل وأرضخ؟ فأنت ارتكبت أفظع الأخطاء، إذا كنت تغتاب وتتنكر للبطن التي حملتك وستبدو مسخًا دميمًا تكسوه البثور النتنة والتشويهات

المفزعة، وسأقبل العرض لأني أحبك بالرغم من أنك لست أهلًا لأن يكلل رأسك تاج الملك، ولكنك جميل الطلعة، وحين ولدت تضافرت كل الظروف لجعلك رفيع المقام، أما بالنسبة للمواهب التي منحتك الطبيعة إياها فيمكنك أن تنافس الورود قبل أن يكتمل تفتحها، لكن الحظ قد أدار ظهره لنا وانقلب عليّ، وتحالف عمك جون مع ملك فرنسا، وقد قاد ذلك فرنسا إلى السيادة والرفعة، إن فرنسا هي من أفسدت حظينا، أليس رئيس فرنسا إنسانًا مخادعًا غدارًا؟ وليس عليك إلا ان تدس له سم أقوالك الفاضحة أو تسير في طريقك وتترك المفسدين يغرقون في مستنقع الآلام والعزلة، وأتحمل بمفردي جميع النتائج.

سالزبري : اعذريني، يا سيدتي، ليس بوسعي إلا أن امتثل بن يدي الملوك.

كونستانس : يمكنك ذلك، بل يجب عليك أن تفعله، أما أنا فلن أرافقك، بل سأتحمل آلامي مهما اشتدت وأستعين بالصبر على تحملها، فإن المصائب والكوارث لا تهتم بخضوع وإذعان ضحيتها، دع الملوك يأتون إلي ليجتمعوا ويروا فظاعة الجرم الذي ارتكبوه، ومرارة الألم والوجع

الذي يعصف بي، والذي لا يمكن لأحد أن يتحمله إلا الأرض الصلبة، أما أنا وشقائي فسنظل معزولين فوق عرشي، فقل للملوك أن يأتوا ويحيوني.

(ترتمي على الأرض)

(يدخل الملك جون وفيليب ملك فرنسا ولويس وبلانش واليونور الملكة الأم واللقيط والأرشيدوق ورجال الحاشية)

الملك فيليب: (لبلانش الأسبانية) إن هذا اليوم يا ابنتي الحبيبة سنحتفل به على الدوام في جميع أرجاء فرنسا، ولكي نزيده مهابة وعظمة سيبدل مظهر الشمس البهيج طبيعة هذه الأرض الموحلة إلى لون الشمس الذهبي كساحر عجيب، وسيكون يوم مولدها يوم عيد في المستقبل.

كونستانس : (وهي تنهض) بل الحق إنه يوم حداد وشؤم لا يوم عيد بهيج كما تدعي، ما مميزات هذا اليوم حتى يستحق هذا التكريم، وأن يكتب بحروب من نور كأنه ساحر بارع؟ بل بالعكس هو يوم مشئوم، علينا أن نلعن هذا اليوم من الأسبوع؛ لأنه غارق في العار والظلم، وإذا كتب له أن يبقى فعلى الحوامل أن يطلبن من الله ألا يضعن أولادهن في هذا اليوم حتى لا يولدوا ممسوخين، وعلى البحارة أن يخشوا من الغرق في هذا اليوم، ولا بد أن تُلْغَى كل

الصفقات المعقودة في هذا اليوم، لا بد أن تكون نهاية الأمور المباشرة في هذا اليوم نهاية سيئة، حتى الولاء والانتماء ينقلب في هذا اليوم إلى خيانة نكراء.

الملك فيليب: بحق السماء يا سيدتي، ليس لك عذر لتَسبُّي هذا اليوم والنتائج التي حققناها فيه، ألم أضع ملكي تحت تصرفك؟

كونستانس : لقد منحتني شبه تاج وليس تاجا، فإنه عند أول لمسة تبين أن معدنه رديء لا قيمة له، وأنت كنت كاذبًا ومضللًا؛ فقد جئت لمناصرتي وسفك دم أعدائي، ولكنك الآن تمد يدك لمصافحتهم بدلًا من قتلهم، وتحالفت معهم على النيل مني بينما المحاربون انفرجت أساريرهم وتعانقوا في سلام مصطنع، وتعاهدوا على الظلم ضمن عصابة تساعد وتساند، فيا أيها الرب، اجعل الشعب يحمل السلاح لمواجهة هؤلاء الماكرين الخادعين، ولا تنس أني أنا الأرملة المنكوبة، أصرخ! يا أيتها السماء، لا تجعلي هذا اليوم المشئوم يمر بسلام، اجعلي الخلاف المسلح يدب بين هؤلاء الملوك الظالمين، أرجوك استجيبي لدعائي وتوسُّلي.

الأرشيدوق : اهدئي أيتها السيدة كونستانس.

كونستانس : بل لا أريد غير الحرب، أما السلام فهو يعني بالنسبة لي

الكفاح، يا مدينة ليموج اسمعيني، ويا أيها النمساوي احذر تلطيخ يدك بالدم، أنت دجال حقير، وجبان ولئيم لا تعرف شيئًا عن الشهامة، دائمًا تأخذ جانب القوي لتقضي على الضعيف، وتحاول أن تهرب من الواجب بالمكر والخداع، تتظاهر بالاستقامة ولا تعرف عنها شيئا، يا لك من مهرج سخيف! تدعي أنك تدافع عن صديقك وأنت في الحقيقة تغدر به، وتستغل أوضاعه الصعبة، أنت أيها الضفدع الفاسد ألم تتكلم بصوت كالرعد لصالحي؟ ألم تكن توصيني بالاعتماد عليك وعلى قدراتك وإخلاصك؟ الآن تنتقل لصفوف أعدائي، اخلع عنك جلد الأسد الذي ترتديه وتتصرف كالنعجة وتكشر عن أنيابك كالذئب، ألا فاكشف عن وجهك الحقيقي واخلع عنك هذا الوجه المستعار، وبدلًا من جلد الأسد ضع على كتفيك جلد ضبع.

الأرشيدوق : آه، يا ليتني لم أسمع منك هذا الكلام البذيء.

اللقيط : (للأرشيدوق) هيا، ضع جلد الضبع على هذين الكتفين أيضًا.

الأرشيدوق : (للقيط) هل يمكنك أن تعيد هذا القول على نفسك أيها الغبي؟

اللقيط : هيا ضع جلد الضبع على هذين الكتفين أيضًا المتخاذلين.

الملك جون : (للقيط) أنا لا أحب هذا المزاح، فما بالك تتجاوز حدودك وتتمادى فيه؟

(يدخل الكردينال بندولف)

الملك فيليب: هذا هو مندوب بابا روما.

بندولف : (يحيّي الملكين) السلام على من يمثلون شريعة السماء في الأرض، أختصر رسالتي المقدسة إليك أيها الملك جون، أنا بندولف كردينال ميلانو، مندوب عن البابا، أسألك: لماذا تثور على أنظمة الدين بمثل هذه الطريقة؟ ولماذا أبعدت بعنف "راتيان لنكتوف" عن مكانه الذي انتخب لأجله؟ هذا باختصار ما استفسر عنه باسم البابا.

الملك جون : بل أخبرني أنت، بأي صفة دنيوية تستند لتستجويني في هذا الموضوع المتعلق بي شخصيًا كملك، أنت أيها الكردينال عاجز عن إيجاد صفة غبية تجعلني مجبرًا على إجابة سؤالك، انقل هذا الرد إلى من أرسلك، فأي كاهن إيطالي لا يمكنه أن يأخذ فلسًا واحدًا أو يفرض أية ضريبة على ممتلكاتي، أنا بصفتي الملك والرئيس الأعلى أصر على الدفاع عن سلطتي في كل بقعة من

ممتلكاتي، انقل هذا للبابا وأخبره بأني لا أُكِنّ له أي اعتبار.

الملك فيليب: أنت تهذي يا أيها الإنجليزي.

الملك جون : أنت وجميع ملوك الأرض يمكنكم أن تظلوا خاضعين لهذا المتسلط الذي لا يملك إلا اللعنة التي تشترى بالمال ويغترف بها الذهب، أجل البثوا انتم خاضعين له لكي تدفعوا عائدات تعتمد فقط على الشعوذة، وأنا وحدي أعارض مطلب البابا وأعتبر أصدقاءه كألد أعدائي.

بندولف : بموجب سلطتي الشرعية، لتكن ملعونًا ومحرومًا، وليتبارك كل من يخرج عن طوع مهرطق مثلك، فيعتبر سلوكه مثاليًّا، ويبارك الرب كل من يحاول خطف حياتك الدنيئة.

كونستانس : اترك المجال لحظة لروما يا أبت لكي تجد مبررًا لهذه اللعنات، قل آمين، بعد أن تسمع لعناتي الصارخة؛ لأنه لا يحق لأحد أن يتلفظ بلعنة ما لم يتحمل مثل آلامي.

بندولف : لعنتي له باسم القانون.

كونستانس : هذا أيضًا لسان حالي، ولكن عندما يكون القانون عاجزًا عن صيانة الحقوق وحفظها، العدالة تقتضي أن يكون مكانها الكبت والألم، فالشرع عاجز عن أن يعيد لابني

مملكته، لأن من اغتصبها سيطر أيضًا على القانون، فالشرع هو الاستبداد بعينه، فلماذا تحاول أن تكمم فمي وتمنعني من صب اللعنات على رأس من يستحقها؟

بندولف : يا ملك فرنسا، خوفًا من حلول اللعنة عليك لا تحالف هذا المهرطق الكافر، بل هدده بذبحه بموجب السلطة التي تستمدها من عرش فرنسا إذا لم يعلن الولاء لروما.

اليونور :(لفيليب) انتبه أيها الشيطان الخسيس، واحذر أن يخشى ملك فرنسا صحوة الضمير، ويخشى إذا ابتعدت عنه أن يخسر نفسه ويذهب إلى الجحيم.

الأرشيدوق : يا ملك فرنسا، اسمع إلى الكردينال.

اللقيط : (للملك فيليب) وهو يشير إلى الأرشيدوق: وألق جلد الضبع عن كتف هذا الجبان وحرره منه.

الأرشيدوق : أيها المحتال الماكر، يجب علي أن أتحمل هذه الإهانة بما أنه....

اللقيط : (للأرشيدوق) يمكن أن يكون مكانك.

الملك جون : ما ردك على الكردينال يا فيليب؟

كونستانس : وماذا يستطيع أن يقول غير ترديد ما نطق به الكردينال؟

لويس : تروّى يا أبي وفكر جيدًا، واختر بين حرم روما الثقيل والتضحية البسيطة التي يتحملها ملك إنجلترا راضيًا

وغامر بها هو أقل ضررًا من غيره.

بلانش : أي حرم روما.

كونستانس : حاذريا لويس، فهذه نقطة حساسة، فالشيطان يحاول إغواءك بهيئة عروس في ثوب شفاف.

بلانش : يا سيدتي كونستانس، أنت تتكلمين بدافع المصلحة وليس الضمير.

كونستانس : آه، ليتني أعرف مصلحتي، فأنا لا أضمنها إلا بموت ضميري، لقد توصلت إلى أن مصلحتي تتعارض مع ضميري، فإذا رغبت في تعطيل مصلحتي عليك بترك ضميري حيًا.

الملك جون : لقد تأثر الملك حتى إنه لا يستطيع الإجابة.

كونستانس : (للملك فيليب) يجب عليك أن تبتعد عنه، وهذا هو الرد المناسب.

الأرشيدوق : افعل هذا أيها الملك فيليب، ولا تترك المسألة معلقة طويلًا.

اللقيط : (للأرشيدوق) وأنت أيها الماكر اللئيم لا تجر خلفك إلا جلد ضبع.

الملك فيليب: أنا في حيرة من أمري، ولا أدري ماذا أقول.

بندولف : إن ما تود قوله ربما يزيدك أسفًا وحيرة؛ لأنك صرت هدفًا للحرم واللعنة.

الملك فيليب: (للكردينال) ابت الجليل، ماذا تفعل وكيف تتصرف لو كنت مكاني أنت ذاتك، لقد تصافينا وتشابكت أيدينا، واقسمنا أن نحافظ على الحب والأمانة والوئام بين مملكتينا، وأن نوطد هذه المعاهدة الملكية، إن لم يتح لنا الوقت الكافي لنغسل أيدينا... يعلم الله في الواقع كم لطختها هذه المجازر التي أشعلتها روح الانتقام بيننا ولم تكد أيدينا تطهر وتتشابك في حب حتى تلاعبا كأنهما صبيان يتعاركان بالأيدي، وقد كان بإمكاننا أن ننقض العهود والمواثيق ونوقظ الفتنة النائمة، يا ابت الوقور، ارجو ألا تستمر الأمور على هذا النحو، ارجو منك أن تعطينا بعض التوجيهات التي توصلنا إلى التوافق برضى وسرور على أن نظل أصدقاء.

بندولف :(للملك فيليب) كل ما وصلنا إليه ليس إلا ملامح محددة، ولم يعد أمامنا سوى حسم الأمر بقوة السلاح، فكن أنت قائد طائفتنا وبطلها، وهي في الحقيقة أُمُّنا التي لا تتردد في صب لعنتها على ابنها العاق، يا فرنسا، بإمكانك أن تقضي على رأس الحية، وأن تنتزعي براثن الأسد الهائج، وأن تحطمي أنياب النمر الشرس؛ لأن هذا أسهل من مصافحة اليد القذرة التي تمتد إليك بسلام غادر.

الملك فيليب: أنا في حيرة لا أستطيع أن أسحب يدي في هذا الوقت، وفي الوقت ذاته لا يمكنني أن أتغاضى عن تلويث شرفي.

بندولف : الآن عرفت الشرف الذي يقابل الشرف، وها أنت تفضل يمين وقسم على قسم آخر، وتخالف كلامك بكلام مناقض له صدر عنك أنت سابقاً، أولاً: عليك أن تحافظ على العهد الذي قطعته على نفسك بأن تكون حامي معتقداتنا ومقدساتنا، وها أنا أرى أن ما أقسمت عليه يخالف موقفك وأنت لا تستطيع التقيد به، إذاً من الغبن عدم الوفاء بما أقسمت على الوفاء به وأنت غير صادق، والخطأ يكمن في تنفيذك بأمانة ما يؤدي إلى عمل الشر، وأنت تعلم أن أسود الأفعال هي المثابرة على التمسك بالخطأ؛ لأن هذا يبعد عن الطريق المستقيم باعتبار أن الكذب يداوي الكذب، إن المبادئ الدينية هي التي تجعل الإنسان مقيداً بالوفاء بالنذور، لكنك حلفت بما يتعارض مع تعاليم الدين، وحتى تضمن أن تحافظ على الإيمان نقضت قسمك بقسم آخر، والقسم الذي يؤديه الإنسان بدون اقتناع لا يعد قسماً، بل هو نوع من المكر والخداع، هكذا يصير القسم مهزلة، ندرك الأخير عكس الأول، وهو في الحقيقة ليس سوى ثورة تشنها على نفسك، ولن يمكنك أن تحظى بأي نجاح إلا إذا تمكنت من السيطرة

علـى أنانيتـك، وترفعـت عـن هـذه الـدناءات، ويمكـن أن تـساعدك مقاصـدنا الـصالحة وتـضرعاتنا وتوسـلاتنا إذا تقبلتهـا بـصدر رحـب، وإلا فكُنْ علـى يقـين مـن أن لعناتنـا ستطاردك إلى القبر ثقيلـة إلى الحد الـذي يجعلـك تنـوء تحت وقر أحمالها المرهقة.

الأرشيدوق : لا تنس أن التمرد يقابله التمرد.

اللقيط : نعم، نعم، ائتوني بجلد ضبع أسُدّ به هذا الفم المتشدق.

لويس : يا أبتاه، هيا إلى إعلان الحرب.

بلانش : (لولي العهد) أفي يوم زفافك تقول هذا؟ أنا التي وافقت علـى الاقـتران بـك، اتريـد أن تقطـع في مأدبـة العـرس مـا قطعتـه مـن رءوس الرجـال؟ وبـدلًا مـن أن تـسمع الموسـيقى الهادئـة في يـوم زفافـك تـسمع أصوات أبـواق الحـرب الـتي تصم الآذان؟ يا زوجي العزيز، هذه أول مرة أنطق فيهـا هـذا الاسـم، أتوسـل إليـك وأنـا راكعـة علـى ركبتي أن لا تلجـأ إلى السلاح وترفعه في وجه عمك.

كونستانس : أرجوك يا ولي العهد، رحمة بي، فأنا لا أستطيع الركـوع، لا تغير القرار الذي أعلنته السماء مسبقًا.

بلانش : الآن سأعرف مقدار حبك لي، أي شيء أكثر من كوني زوجتك سيؤثر عليك؟

كونستانس : هـو سيحارب مـن أجل أغلـى شـيء يجعلـك تفتخـرين بـه

وهو الشرف، فاحرص على شرفك يا لويس.

لويس : (للملك فيليب) كم أنا مندهش من جمود شعور جلالتك تجاه كل هذه الأحداث المتسارعة.

بندولف : سأنزل به اللعنة لا محالة.

الملك فيليب: (للكردينال) لا أحتاج إليه. (للملك جون) سأفترق عنك يا إنجلترا.

كونستانس : ما أروع عودة جلالتك للدفاع عن الحق!

اليونور : وما أقذر خيانة فرنسا.

الملك جون : (للملك فيليب) ستندمين على هذا القرار قبل مرور ساعة من الزمن يا فرنسا.

اللقيط : لن تجف دموع فرنسا مهما كان الزمان رحيمًا بها.

بلانش : لون الدماء يغطي كل شيء، رباه، في أي اتجاه أسير .. أنا ممزقة أكون مع عمي أم مع زوجي؟ الجيشان يمسك كل منهما بإحدى يدي ولا أدري ماذا أفعل. (لولي العهد) لا أستطيع أن أدعو لك بالنصر يا زوجي الحبيب. (للملك جون) ولا أملك إلا الدعاء بهزيمتك وانكسارك يا عماه. (للملك فيليب) أما أنت يا أبي، فلا يمكنني أن أتمنى لك حظًا سعيدًا. (للملكة الأم) وأنت يا جدتي، لا أملك إلا أن أتمنى حقيق أمنياتك، أنا على يقين بأني سأخسر المعركة أيًّا كان المنتصر منكما.

لويس : ابقي بجواري يا سيدتي؛ لأن الحظ لن يحالفك إلا معي.

بلانش : لا تنس أن ما يعطيني الأمل قد يدمر حياتي.

الملك جون : (للقيط) اذهب واجمع قواتنا.

(يخرج اللقيط)

(للملك فيليب): أيها الفرنسي، لقد أحرقني لهيب غضبك، ولن يطفئه إلا دماء فرنسا.

الملك فيليب: إن غضبك لن يحرق سواك قبل أن يطفئ دمك لهيبه، فكن على حذر لأنك في خطر شديد.

الملك جون : لا يوجد خطر أكثر من الشخص الذي يهدد حياتي، فلنتقدم بخطًى ثابتة نحو السلاح والحرب.

(يخرجون)

نهاية المشهد الأول

المشهد الثاني

في سهل قرب أنجيه تسمع موسيقى الإنذار

(يتحرك الجنود على خشبة المسرح، يدخل اللقيط حاملاً راس الأرشيدوق)

اللقيط : صدقني إن حرارة الشمس في هذا اليوم لا تطاق، فأي شيطان يصب علينا هذا اللهب من السماء، أيها الرأس النمساوي، امكث هنا حتى يمكن للملك فيليب أن يتنفس الصعداء. (يلقي الرأس إلى الأرض).

(يدخل الملك جون سائقاً أمامه أرثور سجيناً، ثم يدخل هيوبرت)

الملك جون : يا هيوبرت، احرس هذا الولد (للقيط)، يا فيليب، لننتهي من هذا الأمر بسرعة، فإن أمي محاصرة ومحبوسة في خيمتنا، لذلك فأنا قلق عليها.

اللقيط : لقد أنقذتها أنا يا مولاي، وهي الآن في مكان آمن، فلا تخف من أي مكروه، تقدم إلى الأمام يا مليكي وسننهي هذه الأمور ونصل بها إلى شاطئ الأمان بقليل من الجهد.

(يخرجان)

نهاية المشهد الثاني

المشهد الثالث

(حركة جنود بالانسحاب، يشاهد الملك جون عائداً تصحبه الملكة الأم اليونور، وهيوبرت ممسكاً بيد أرثور ثم اللقيط ولوردات إنجليز)

الملك جون : (للملكة الأم) ستظلين في المؤخرة مع قسم من الجيش. (لأرثور): لا تحزن يا ابن العم فجدتك تحبك، وعمك سيكون معك كما تعودت من أبيك عطوفاً لطيفاً.

أرثور : لكن الحزن سيقتل أمي.

الملك جون : سارع إلى أخذ المبادرة يا ابن عمي، وقبل حضورنا عليك أن تحرر ملائكتهم المسجونة وهي مصنوعة من الذهب والفضة، فلا بد لمن جاع في الحرب أن يشبع من خيرات السلم، واستخدم سلطتي إلى الحد الأقصى.

اللقيط : لن يمنعني صوت الأجراس ولا ترانيم الصلاة ولا إضاءة الشموع عند سماع صوت الذهب الفضة من التقدم والهجوم وتحريرها، سأغادر الآن. (للملكة الأم): سأصلي من أجل إخلاصك يا جدتي، وإن لم أتذكر أني كنت من الأتقياء يوماً، وها أنا أُقَبِّل يدك.

اليونور : (لأرثور): الوداع يا ابن العم (يخرج اللقيط) لي كلمة أود أن أقولها لك.

(يترك أرثور يد هيوبرت ويذهب لاليونور التي تأخذه جانبًا، ينسحب اللوردات إلى مؤخرة خشبة المسرح)

الملك جون : تقدم إلى هنا يا هيوبرت (يتقدم هيوبرت نحو الملك) نحن مدينون لك بالكثير، فأنا شخصيًا أعتبر نفسي مدينًا لك بالكثير، وأريد أن أقدم لك ما يوازي إخلاصك وولاءك، إن قسمك الطوعي يا صديقي يحيا في قلبي، ولكني أنتظر الوقت المناسب لأبين كم أنا مقدر لولائك لي.

هيوبرت : أنا لا أنسى فضلك عليّ يا مولاي.

الملك جون : يا صاح، ليس هناك ما يدعوك إلى قول ذلك، ولكن الظروف القادمة ستضطرك إلى إعلانه، ويومًا ما سأرد لك معروفك مهما تأخر الوقت، أريد أن أصارحك بأمر... لكني سأؤجله إلى فرصة أخرى، لقد سطعت الشمس ووضح النهار بما فيه من ملذات والعالم المستهتر إذا دق الليل ناقوسه في الآذان المتناومة ليلًا، وإذا قضينا ليلنا هنا في مقبرة، وإذا كان يسكنك ألف روح نجس، وإذا كان باستطاعتك أن تراني وأنت مغمض العينين وتسمعني وأنت مسدود الأذنين، وتجيبني وصوتك

مختنق، وأنت معتمد على تفكيرك فقط بدون اللجوء إلى نظرك وسمعك وهمس كلامك الذي تقطعه الغصة، عندها فقط أستطيع أن أبث أفكاري في داخلك بدون أن أقوم بأي عمل غيره... ومع ذلك أنا أحبك كثيراً، وأظن أن تحمل لي أيضاً محبة عظيمة، إلى الدرجة التي ستجعلك تطلب مني أن أنفذ ما تطلبه مني عندما يقترب أجلي، بحق السماء، إكراماً لعينيك.

الملك جون : أجل، أنا متأكد أنك ستفعل ذلك يا هيوبرت، انظر إلى هذا الصبي حتى تتأكد أنه ثعبان خبيث ناعم الملمس يقف في طريقي، وكلما اتجهت اتجاهاً أراه متربصاً بي، هل تفهم ما أعنيه؟ أرجوك أن تكون حارساً أميناً تحميني من شره.

هيوبرت : سأسهر عليه وأكون يقظاً وحذراً حتى لا يصيبك بمكروه يا سيدي.

الملك جون : أشعر بالموت يقترب مني.

هيوبرت : ما الذي يدعوك إلى قول هذا يا مولاي؟

الملك جون : أنا أسرع إلى حتفي.

هيوبرت : اطمئن يا مولاي، لن يحيا من يمسك بضرر.

الملك جون : هذا يكفي، قد عاد الاطمئنان إلى قلبي الذي كان يسيطر عليه القلق، أنا أحبك يا هيوبرت... هيا بنا معاً،

لن أخبرك بما أود فعله من أجلك، لا تنس.. (يقترب من الملكة الأم) الوداع يا سيدتي الوالدة، سأرسل بعض القوات لحمايتك يا صاحبة الجلالة.

اليونور : لتنزل عليك بركتي يا ولدي.

الملك جون : (لأرثور): يكفي إنجلترا ما حدث يا ابن عمي، سيكون هيوبرت الرجل الذي يمكنك أن تعتمد عليه وسيخدمك بكل أمانة وإخلاص واحترام، أما أنتم أيها الرجال فسيروا نحو مدينة كاليه. (يخرج الجميع)

نهاية المشهد الثالث

المشهد الرابع

في خيمة ملك فرنسا

(يدخل فيليب ملك فرنسا، ثم لويس وبندولف والحاشية)

الملك فيليب: لقد فقد الأسطول بكامله، وتفرقت المراكب بسبب هذه العاصفة التي دفعت جبالًا من الأمواج.

بندولف : تمهل واصبر، فلا بد أن تتحسن الأمور.

الملك فيليب: أي تحسن بعد هذه الكارثة الفادحة؟ لقد هُزمنا هزيمة ساحقة، ولم تخسر مدينة أنجيه، بل أصبح أرثور أسيرًا، وفقدنا عددًا كبيرًا من أصدقائنا، أما هذا الإنجليزي فلم يعد إلى إنجلترا بعد أن نجح في التغلب على كل مقاومة.

لويس : إن المكاسب التي حققها الإنجليزي جعلته في موقف أقوى بسرعة ومهارة فائقة، من الذي قرأ أو سمع عن إنجاز كهذا؟

الملك فيليب: سأتحمل هذا المديح لإنجلترا بشرط أن نجد فيه عبرة بعد هذا العار الذي لحق بنا، انظر من القادم، ثم انظر إلى هذا الضريح الذي يغلب عليه جو سجن أبدي يضم إنسانًا مظلومًا.

(تدخل كونستانس شعثة الشعر)

الملك فيليب: (لكونستانس): ارجوك، رافقيني أيتها السيدة النبيلة.

كونستانس : ماذا تقول؟ أهذا هو آخرك؟

الملك فيليب: اصبري يا سيدتي، وتحلي بالشجاعة.

كونستانس : كلا، فأنا أرفض كل ما يهدف إلى تثبيط الهمم، ما عدا الكف عن توجيه النصح الخيّر؛ لأن الخلاص الحقيقي في الموت، فاسمعني أيها الموت الرحيم، إن هذا الموت الشهي يعد منقذاً حتى وإن كان انحلالًا منحطاً، ويا أيها الفناء السرمدي أفق من نومك، ما هذا الذي تخلفه من البؤس؟ وما هذا الذي تثيره من الهلع المقيت؟ ومع ذلك سأحاول أن أكون مثلك جيفة كريهة، فسأضع عيني في محجرك المجوف، وسأصنع من دودك خواتم لإصبعي، وسأسد فمي بترابك العفن، هيا، تعال إليّ أيها الموت، وسأعمل على تدليلك كما لو كنت حبيبي، هيا تعال يا حبيب شقائي.

الملك فيليب:ما هذا النحيب اليائس؟ اهدئي يا سيدتي.

كونستانس : لا أريد أن أهدأ، ما دام في عرق ينبض ويستطيع الصراخ، لو صراخي يتحول إلى طلقات مدافع لكنت أرعدت فرائص العالم بأسره، وجعلته ينتفض أمام هذا الهيكل العظمي الذي يداهمني، ولا يستجيب لتوسلاتي وصوتي

النسائي الذي يأبى أن يلجأ إلى أي وسيلة مفزعة.

بندولف : إن ما تقولينه يا سيدتي هو نوع من الجنون وليس تعبيراً عن الألم.

كونستانس : أنت جاحد تفتري عليّ، أنا كونستانس زوجة جوفروا، وقد فقد ابني كل ما كان له، ربما أكون قد خسرت ذمتي، لكني بالتأكيد لست مجنونة، فعليك أيها الكردينال أن تزودني بما يمنعني من الجنون؛ لأني ما دمت أتمتع بكل قواي العقلية ولدي كل هذا الإحساس بالألم فأي منطق معقول بداخلي يعلمني كيف يمكنني أن أتخلص من كل هذه الشرور، أو يشجعني على الانتحار بشنق ذاتي، لو كنت كما تدعون لفقدت ابني ونسيته من أجل الحصول على وهم، أنا لست مجنونة، ولكني أنعم بمشاعر وأحس بآلام لا تشعرون أنتم بها.

(تغطي وجهها وتسترسل في النحيب)

الملك فيليب: ارفعي هذه الخصلات، فأنا أرى الكثير من الحب في هذه الجدائل الذهبية، ولو سقطت دمعة من عينيك كاللؤلؤة لتجمع أكثر من عشرة آلاف خيط ذهبي وكوّنوا أكثر من شبكة لمنعها من السقوط، نحن في الحقيقة أصدقاء أوفياء لا تفرقنا الكوارث بل تجمعنا.

كونستانس : (تنتف شعرها تنثره في الهواء) طر واذهب إلى إنجلترا لو

أردت.

الملك فيليب: أرجوك أزيحي هذه الخصلات عن عينيك.

كونستانس : سأزيحه.. ولكن لماذا؟ صرخت عندما أزلته من جذوره: "يا ليت لي يدين قويتين تستطيعان أن تخلص ابني كما منحت الحرية لشعري". الآن أنا أحسد شعري على حريته ولكني سأحاول رده إلى مكانه ما دام ابني ما زال سجينًا، يا أبت لقد سمعتك تقول أننا سنلتقي مع أحبائنا في السماء ونتعرف عليهم، فإن كان قولك صحيحًا فسأرى ابني حتمًا، إن العالم لم ير ألطف ولا أظرف من ابني الحبيب، ولكنه الآن معرض لأن تنهشه أنياب الحزن والفناء، وبدلًا من ورد خديه الطبيعي سيحفر أخاديد الشيخوخة في جبهته العالية، ويجعله فريسة لشحوب الحمى وهزالها، وسيموت ويبعث على هذه الهيئة، وعندما أشاهده في الماء فلن أعرفه.

بندولف : ما بالك تخضعين للعذاب وتستسلمين للانهيار.

كونستانس : أهذا قولك؟ يا من حرمت من نعمة الأولاد؟

الملك فيليب: بقدر ما أثاره الألم فيك من حسرة على ولدك بمقدار ما أصابك بالجنون.

كونستانس : لقد أخذ الألم في نفسي مكان ابني الغائب، ولا بد من أن ينام في سريره وأن يكون بصحبتي ويتربى بمظهره المعتاد،

ويردد كلماته العذبة ويرتدي ثيابه التي لم يعد بإمكانه أن يلبسها، فأنا معي كل الحق إن جننت من شدة ألمي وخوفي عليه، فالوداع يا من حملت كل خسائري، سأقدم لك التعازي بصورة أفضل من التي تكرمت عليّ بها، (وتنزع قبعتها عن رأسها)، لا أريد أن أترك هذه الزينة على رأسي وهو يعاني كل هذا التشويش، يا إلهي، لماذا حرمتني من ابني، لقد كان ينبوع حياتي وسبب سروري، وعزائي الوحيد وكل دنياي وسندي وشفاء جراحي.

(تخرج).

الملك فيليب: أخشى أن يقودها اليأس إلى عمل مؤسف، سأتبعها لأرى ماذا ستفعل.

(يخرج).

لويس : لا شيء في هذا الكون يمكنه أن يدخل السرور إلى قلبي الحزين، إنني أرى الحياة باهتة بلا لون ولا طعم كقصة يعاد سردها مرارا، وهذه هي مرارة العار الذي أفسد كل جميل بالنسبة لي، وأضحى كل ما كان حلو المذاق بالنسبة لي مرًّا كريهًا كالحنظل.

بندولف : عند عودة الصحة إلى الجسم المريض، وقبل شفائه من الداء العضال تتضاعف الأزمة في داخله؛ لأن الآلام قبل زوالها تُصيرّ على إشعارنا بما تحتويه من خبث وضراوة،

فماذا خسرت أنت بمن فقدته في هذا اليوم؟

لويس : خسارتي لا تقدر؛ فقد خسرت كل أيام مجدي وفرحي وهنائي.

بندولف : هكذا الدنيا، فلو ربحت اليوم كنت ستخسر الكثير أيضًا في الغد، لكن ليس بالضرورة، فالحظ عندما يريد أن يبتسم لشخص ليس مستبعدًا أن ينظر إليه بعين الغضب والتهديد، ولكن الغريب أن نفكر بمقدار خسارة الملك جون الذي أوشك على النصر، أو لم يحزن لعلمك بسجن أرثور؟

لويس : على العكس، سررت سرورًا عظيمًا كما أسعده الحظ للاحتفاظ به كأسير.

بندولف : تفكيرك صبياني وإن كان ذهنك فتي، اسمع إليّ أيها الفتى، سأكلمك الآن بروح النبوءة، إن مجرد التلفظ بكلماتي سيفسح لك الطريق إلى عرش إنجلترا، ولذلك عليك أن تسمع حديثي بكل انتباه، لقد أخذ جون أرثور أسيرًا، وما دام هذا الولد على قيد الحياة سيظل الأمل في قلبه ولن ينعم جون بلحظة من الهدوء والسكون؛ لأن الإمساك بشبح مثله لا بد من حراسته بقبضة من حديد، ومن يقف على منحدر حاد الانحدار لا يرفض التمسك بأضعف من خيوط العنكبوت، وإذا أراد جون أن يوطد

ملكه فلا بد أن يتقلص أرثور ويختفي من الوجود، هذه كانت دائمًا نهاية الأمراء.

لويس : وما الفائدة التي تعود عليّ أنا من سقوط أرثور؟

بندولف : أنت باسم زوجتك السيدة بلانش يمكنك أن تطالب بجميع حقوق أرثور.

لويس : وأفقدها كلها كي أحافظ على حياتي، تمامًا كما حدث لأرثور.

بندولف : يا لك من صغير السن وعديم الخبرة، أيها الفتى، جون يتآمر، وتآمره لأجل مصلحتك، والأحداث تتآمر على وجودك، هذا العمل الدنيء الذي سيفعله سيجعل رعاياه ينفرون منه وينقمون عليه إلى درجة أنهم سيعملون للقضاء على ملكه، لن يكون هناك عواطف مسالمة من وحي السماء، كما أنه لن يوجد أيام تخالف موسمها، ولا أحداث غير مبررة، ولن تكون هناك صرخات تشجب فكرة الانتقام من جون.

لويس : قد لا يقضي على أرثور إذا اطمأن إلى سجنه فقط.

بندولف : آه يا ولدي إذا وصله خبر عن اتصالك بآرثور، إذا لم يكن قد قضى عليه فسيقضي عليه حتمًا، وعندها ستنقلب كل النفوس على جون، ويتخلون عنه، وكلهم سيعبرون عن رغبتهم في التمرد؛ لأن جون قد تلطخت يده

بدم بريء، لكأني أرى الشعب الآن ثائرًا على جون، وترتيب الأمور يتحسن ويتحول لصالحنا أكثر مما توقعت أنا، فلقيط فولكنبريدج الآن في إنجلترا ليهدم المعبد على من فيه، ولو كان هنا اثنا عشر فرنسيًا نستخدمهم كطعم لاصطياد عشرة آلاف إنجليزي ستصبح ككرة الثلج الصغيرة التي تتدحرج من أعلى وتصبح كتلة كبيرة تسحقه، يا ولي العهد، هيا نذهب إلى الملك، فما يمكننا أن نستفيد به من هذا التغير كبير جدًا، خاصة وقد ضاقت الخلائق بهذا التعدي الساخر، لا بد من الذهاب الآن إلى إنجلترا وتقويض عرش الملك.

لويس : نعم، فإن الحسابات الدقيقة تحقق أفضل الأعمال، هيا بنا، فلو وافقت أنت لن يقول الملك لا.

(يخرجان).

نهاية الفصل الثالث

الفصل الرابع

المشهد الأول

في السجن

(يدخل هيوبرت واثنان من الجلادين)

هيوبرت : (للجلاد الأول) سَخّن لي هذين القضيبين الحديديين.
(للجلاد الثاني): وأنت، اختبئ خلف هذه الجدلانية، وعندما أضرب الأرض بقدي شد وثاق الولد الذي يكون بجانبي، هيا اخرج الآن، وكن يقظاً.

الجلاد الأول : أتمنى أن تتحمل عبء هذه المسئولية.

هيوبرت : هلم إلى هنا أيها الشاب، فعندي ما أقوله لك.

(يدخل أرثور).

أرثور : نهارك سعيد يا هيوبرت.

هيوبرت : نهارك سعيد أيها الأمير الصغير.

أرثور : نعم أنا أصغر أمير، ولكن لي حقوق كأكبر امير، هل ثمة ما يقلقك ويثير حزنك؟

هيوبرت : نعم، لقد كنت أكثر سروراً فيما مضى ممّا أنا عليه الآن.

أرثور : إني لا أظن أن هناك من هو أكثر ضيقاً وكآبةً مني،

ولكن على الرغم من ذلك فأنا أتذكر عندما كنت في فرنسا عددًا من الشرفاء الذين كانوا يتمنون أن يغلبهم النسيان ليلًا لكي يتغلبوا على شعورهم بالحزن نهارًا، آه، لو أنني كنت خارج السجن أرعى خرافي لسعدت طوال النهار، بل لشعرت بالبهجة ذاتها لو لم يخالجني الشك في كون عمي يضمر لي شرًا، إنه يخشاني، وأنا كذلك أخشاه، فهل هذا خطئي إن كنت ابن جوفروا؟ كم أتمنى لو كنت ابنك شرط أن تحبني يا هيوبرت.

هيوبرت : (على حدة): إذا جاريته في لهجته البريئة فسوف يثير شفقتي، حتى وإن كانت خافية، لأبادر — إذن — إلى القيام بمهمتي والانتهاء منها بسرعة.

أرثور : لماذا أنت متغير اللون هكذا يا هيوبرت؟ أخبرني إن كنت تعاني من علة فأسهر عليك أكلؤك، إني لأحبك حبًا كثيرًا أكثر مما تحبني أنت.

هيوبرت :(على حدة): إنّ كلماته تضعف من عزمي. (بصوت مرتفع): خذ هذه الورقة واقرأها يا أرثور. (يمد إليه ورقة. على حدة وهو يمسح عينيه) ما هذا السخف الذي أفعله؟ ألا أقوى على ضبط عواطفي وطرد هذا العذاب الأليم؟ يجب أن أُجْهِزَ عليه خشية أن أفقد عزمي وإصراري. (بصوت مرتفع لأرثور): ألا يمكنك القراءة؟ هل الكتابة غير واضحة؟

أرثور : بل هي واضحة جداً بالنسبة إلى عمل بهذه البشاعة، أيجب عليك أن تحرق لي عيني بهذين القضيبين المحميين؟

هيوبرت : إنه أمر حتمي كما تلاحظ يا بني.

أرثور : وهل تنوي القيام بهذا العمل الشنيع؟

هيوبرت : نعم سأقوم به.

أرثور : وهل وصلت بك قساوة القلب إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة المنكرة؟ أتذكر عندما أصابك صداع فربطتُ منديلي حول جبينك، هذا المنديل الذي صنعته لي أميرة شابة، وقد جلست إلى جانبك طوال هذه الليل أرعاك واخدمك، وأسألك عما تحتاج إليه، وما قد تشعر به من الألم، مهما يكن الأمر، إنك قد تظن أن حنوي هذا مصطنع، وتعتقده حيلة مني لدفعك عمّا تنوي القيام به، ولكن اعتقد ما يحلو لك، فإن كنت تريد أن تفقأ لي عيني اللتين لم تُلقيا عليك نظرة حقد واحدة، فافعل.

هيوبرت : لقد آليْتُ على القيام بما أسند إليّ. ول مفر من احراقهما بقضيب محمٍي.

أرثور : آه، لا يقدر على تنفيذ أمرٍ كهذا إلّا رجل كالفولاذ، فالحديد مهما كان حاميًا محمرًّا فإن دموع عيني ستقاومه وتطفئ تأججه عندما يتشرب منها، ثم يصدأ ويتلف، فهل أنت أشد قسوة من هذا الحديد؟ والله لو

جاءني مَلَكٌ ليخبرني بأنك ستفقأ عيني لما صدقتُه إلّا إذا أكد هيوبرت هذا الكلام بنفسه.

هيوبرت : (يضرب الأرض بقدميه): إليّ، إليّ.

(يدخل الجلادان حاملين حبالًا وقضيبين حديديين وغيرهما)

هيوبرت : نفذا ما أمرتكما به.

أرثور : عد إلى رشدك يا هيوبرت، عُد إلى رشدك، إنني قد أصبت بالعمى منذ الآن لمجرد رؤيتي منظر هذين الرجلين.

هيوبرت :(للجلادين): إليّ بقضيب الحديد، هيا اربطاه هنا. (يأخذ هيوبرت القضيب المحمي المحمرّ، ويمسك الجلادان بأرثور لربطه بوثاق إلى المقعد).

أرثور : (للجلادين): يا للأسف، ما الذي يدفع بكما إلى مثل هذه القسوة؟ بالله عليك يا هيوبرت لا تربطني، اصرف هذين الرجلين وأنا أعدك ألّا أقاومك، لن أتحرك من مكاني، ولن أنطق بشيء، ولن أنظر لهذين القضيبين بغضب، هيا أخرج هذين الرجلين، وسأسامحك على كل العذابات التي تسببها لي.

هيوبرت :(للجلادين): اخرجا واتركاني معه.

الجلاد الأول : أنا مسرور لعدم اشتراكي في هذا العمل الشنيع.

(يخرج الجلادان).

أرثور : وأسفاه، صحيح أن هذا الجلاد الذي طردته لِتَوِّكَ له منظر غريب، إلّا أنّ طيبة قلبه واضحة في عينيه.

(لهيوبرت): اسمح له بالدخول ثانية، لعلّ رقته تعيد إلى عواطفك الحياة.

هيوبرت : أيها الجلاد، كن على أهبة الاستعداد.

أرثور : أليس هناك من سبيل لإرجاعك عن عزمك هذا؟

هيوبرت : ما بيدي من حيلة سوى إفقادك بصرك.

أرثور : لو كان بعينك جزء قذى أو حبة تراب أو شعرة تائهة أو أصغر ذرة تضايق تلك النظرة الهائمة لشعرت بمقدار الألم الذي يولده هذا التصرف الحقير الذي تعزم القيام به، وللمست مدى جُرم هذا العمل.

هيوبرت : فلتحفظ لسانك، وتلزم الصمت.

أرثور : لا تطلب مني أن أتوقف عن الحديث إلّا إذا كنت تريد أن تقطع لساني وتبقي على نور عيني، أتوسل إليك أن تحفظ لي بصيرتي، حتى وإن لم يكن هذا سيفيدني إلّا بمشاهدتك أنت فقط على الدوام، ألا ترى أنّ القضيب قد برد ولم يعد له مفعول؟

هيوبرت : يمكنني أن أحميه ثانية يا بني.

أرثور : صدقني، إن النار قد أُخمدت وخملت عندما أدركت أنها إنما تأججت لإلحاق الأذى بي، انظر لتلك الجمرة التي لم يبق فيها أية قدرة على إصابة أحد بالأذى، إن رياح السماء قد أطفأتها.

هيوبرت : بإمكاني إشعال لهيبها ثانية يا ولدي.

أرثور : إذا نفذت ما عزمت على القيام به ستكون به وحشا مجبراً على الهجوم؛ إذ لا يجد سبيلاً للتراجع، إن ضميرك يستعصي عليك، ويرفض قبولك لهذا الأمر إلا أنك لجأت لكل السبل لإرغامه والسيطرة عليه من دون شفقة.

هيوبرت : لقد غلبتني، لن أقدم على هذا العمل الدنيء، ولن ألوث يدي بدمائك، حتى ولو أعطاني عمُّك كل ما يملك من كنوز الأرض.

أرثور : هذا هو الوجه الحقيقي الذي كنت تخفيه خلف قناع من الظلم والطغيان.

هيوبرت :سامحني يا ولدي، سأتركك الآن لأذهب إلى عمك وأوهمه بأنك قد صرت في عداد الأموات، وأزود جواسيسه بتقارير مغلوطة، فاطمئن يا بني، ولا تخش أيّ شيء بعد الآن.

أرثور : حمداً للرب، أشكرك كثيراً يا هيوبرت.

هيوبرت : توقف الآن عن الكلام، وهيا بنا لنخرج الآن في سرية تامة دون أن يشعر بنا أحد؛ لأني أعرض حياتي بهذا للخطر.

(يخرجان).

نهاية المشهد الأول

المشهد الثاني

في قاعة القصر الكبري

(يدخل الملك جون وعلى رأسه التاج، ثم بمبروك وسالزيري، وغيرهما من اللوردات، يصعد الملك للجلوس على عرشه)

الملك جون : ها أنا أجلس على عرشي من جديد، وتاج العرش على رأسي، وأنتم من حولي تنظرون في بهجة وسرور.

بمبروك : لولا أنك تستلذ بهذا التتويج الثاني لما كان له من موجب؛ فقد سبق وتم تتويجك شرعيًّا، ولم ينتزع منك العرش، ولم يحدث أي شغب أو تمرد أو عصيان.

سالزيري : إن هذا التتويج جاء ليبرز الأمجاد، ولمعان الذهب الخالص، ورش العطور على زهور البنفسج، ويعلن عن إضافة لون جديد إلى ألوان قزح، وهذه كلها زوائد لا حاجة ماسة لها.

بمبروك : إن هذا يحدث من أجل إرضائك يا مولاي؛ فقد جاء مع قصة تحكى للمرة الثانية والجميع لا يزالون يتذكرونها.

سالزيري : أنا لا أوافق على هذا الرأي؛ حيث إن عملًا كهذا يزيل

من الأذهان جمال وروعة الاحتفال الأول، وتخامر الشكوك أصحاب النوايا الحسنة، وتظهر الشبهات حول الحقوق الموطدة نتيجة لهذا الوشاح الجديد.

بمبروك : كثيراً ما يقع العمال المجتهدون الراغبون في تحسين إنتاجهم في غلطات، كما أنَّ العين عند تحكيلها بقصد تجميلها قد تصاب بالعمى، وهكذا عندما يُراد إصلاح شائبة طفيفة فإنَّ الخرق كثيراً ما يتسع ليبدو العيب أبشع مما كان عليه.

سالزبري : لقد حذرتُ جلالتك من عواقب هذه الرغبة قبل تتويجك الثاني، لكنك لم تهتم برأيي، ولكنني سررت في النهاية لتحقيق رغبة سموك.

الملك جون : لقد أفصحت لكم عن دوافعي لإجراء هذا التتويج الثاني، وهناك أسباب أخرى سأطلعكم عليها فيما بعد، وأرجو أن تشاركوني الرأي لتلافي أي عقبات قد نواجهها، وسوف تلمسون مدى اهتمامي بهذه الآراء.

بمبروك : أسألك يا مولاي باسم الجميع أن تطلق سراح أرثور؛ لأن أسره يطلق العنان للألسنة لإشعال الفتنة، وإثارة العوام عليك، فالعفو عنه وإطلاق سراحه لن يترك مجالًا للحاقدين، ولخصومك البارزين، وتكون قد حبستهم جميعًا في جحورهم، ولهذا ألتمس منك أن

تمنحه حريته؛ لأنَّ ذلك ليس في صالحنا فقط، بل في صميم مصلحتك أيضًا.

الملك جون : حسنًا، ليكن لكم ما تريدون، سأضع مصيره في تصرف إرادتكم.

الملك جون : (يواصل كلامه): ماذا تحمل إلينا من الأخبار يا هيوبرت؟

(الملك يجر هيوبرت جانبًا ويحدثه بصوت خافت)

بمبروك :(يشير للوردات إلى هيوبرت): هذا هو الرجل الذي كان مكلفًا بهذا العمل الدموي، وقد رأى أحد أصدقائي التكليف الخطي الصادر إليه بهذا المعنى، انظروا لصورة الشر النابع من عينيه، أخشى أن يكون قد نفذ ما لا نتمنى وقوعه.

سالزبري : إنّ إخلاصه ووفاءه للملك يغلب على ضميره، وهذا يؤثر عليه إلى حد الانفجار.

بمبروك : أخشى من انفجاره هذا أن يعلن عن مقتل ولد وديع كالحمل.

الملك جون : (يتقدم) إن يد المنية قد سبقت يد العفو على الرغم من استجابتي لرغبتكم، إلاّ أنّ أرثور قد توفي الليلة الماضية، وبالتالي لم يعد بإمكاني تنفيذ التماسكم.

سالزبري : كنت أخشى ألّا يكون لمرضه من دواء.

بمبروك : بالفعل، وأنا كنت على ثقة أنه كان مشرفًا على الموت حتى قبل شعوره بمرضه.

الملك جون : (للوردات): لماذا ترمقونني بهذه النظرات اللائمة؟ هل تعتقدون أن بيدي إعادته للحياة، وجعل الدماء تجري في عروقه وإعادة النبضات لقلبه؟

سالزيري : (لسائر اللوردات): إن نوايا الخداع ظاهرة للجميع، إنه لمن العار على العظماء أن يرتكبوا مثل هذه الأفعال الدموية الشنيعة. (للملك): هل تظن نفسك رابحًا في هذه اللعبة؟ على أي حال الوداع.

بمبروك : انتظر قليلًا يا سيدي سالزيري، أنا آتٍ معك لأبحث عن ميراث هذا الصبي، وعن ضريح له يكفي لجثمانه الصغير، يا له من عالم غادر شرير حرمه من نعمة الحياة، إنها لجريمة نكراء لا يصح التجاوز عنها، وقد توقعت تلك النهاية الأليمة قبل حدوثها.

الملك جون : إنني أشعر بالأسف الشديد والحزن الذي يمزق فؤادي من جراء وفاة هذا الصبي.

الملك جون : أرى الخوف في عينيك.(يدخل رسول) ما الذي غير لون وجنتيك هكذا؟ ما آخر التطورات في فرنسا؟

الرسول : إن القوات الفرنسية قد وصلت إلى إنجلترا، لقد باغتك أعداؤك مستخدمين عنصر السرعة الذي كان أكثر ما

يميزك في الماضي، لقد كان من الواجب عليك أن تكون على دراية باستعدادهم، فقد جاءت الأخبار بأنهم وصلوا إلى الجهة المقصودة.

الملك جون : وأين كان حراسنا؟ هل كانوا غارقين في سباتهم؟ وأين كانت يقظة جدتي، وكيف استطاعت كل هذه الجيوش التجمع من دون علمها؟

الرسول : لقد بلغني عن طريق الشائعات أن السيدة كونستانس قد توفيت في أول يوم من هول المفاجأة، ولا أدري إن كان ما وصلني صحيحًا أم لا.

الملك جون : لِتَنْسَ ما حدث، ولنبدأ في وضع خطة دفاع، آه، ماتت أمي؟ ماذا حلّ بمملكتي من نحس في فرنسا؟ ومن أصدر الأوامر بالتحرك إلى أراضينا الإنجليزية؟

الرسول : إنه ولي العهد يا مولاي.

(يدخل اللقيط وبياردي بومفرات)

الملك جون : لقد فقدت صوابي لما نقلته من أخبار مشئومة.

(للقيط) : وما رد فعل الأمر على الناس؟ أرجو ألا تنقل إلى أخبارا سيئة أخرى؛ فقد أخذت ما يكفيني منها.

اللقيط : كما تشاء، إذا كنت تخشى من المزيد من المفاجآت فاعلم أنَّ المزيد الأبشع سوف يأتي وينهال لا مفر، عاجلًا أو آجلًا.

الملك جون : سامحني يا ابن عمي، فقد ضقت ذرعًا بما وصلني من أخبار سيئة، فكأنني أمام أمواج متلاطمة لا أقوى على اعتراض سبيلها، فليس أمامي الآن سوى محاولة استعادة أنفاسي، وأنا الآن مستعد لسماع مختلف الأصوات مهما تضاربت واختلفت أوجه الاستفادة منها.

اللقيط : كيف وصلت إلى هنا؟ وكيف هربت من رجال الدين المحيطين بك؟ ها هي الأموال التي جمعتها لتفسير هذا اللغز، ولكنني عندما عبرت البلاد لأصل إليك وجدت الشعب مهيأ لقبول كل الاحتمالات، لقد سيطرت الكوابيس على شعبك، ولم يعد يعرف ماذا يجب الحذر منه، ولكنني قد جئت معي بعرّاف وجدته في أحد شوارع بومفرات كان يجمع رجالًا حوله، وينشد قوافي ثقيلة على السمع، تفيد بأنك سوف تتنازل عن العرش قبل ظهر عيد الصعود القادم.

الملك جون :(لبيار): أنت صاحب نظرات خيالية، من الذي تكلم هكذا؟

بيار دي بومفرات: إن حدسي ينبئني بأنَّ هذه النبوءة ستتحقق في حينها.

الملك جون : يا هيوبرت، خذ هذا الدجال، وألق به في غيابات السجن، واشنقه في نفس اليوم الذي يزعم بأنني سأتنازل فيه عن

العرش، هيا اذهب وضعه في مكان حريز، وارجع ثانية لاحتياجي الشديد إليك. (يخرج هيوبرت بصحبة بيار دي بومفرت، يتابع الملك كلامه للقيط): يا ابن عمي العزيز، هل من أخبار جديدة؟

اللقيط : لقد أصبح وصول الجيوش الفرنسية موضع حديث الجميع، وقد صادفت السيد بيكوت والسيد سالزبري والغضب يفيض من عيونهما؛ فقد كانا ذاهبين للبحث عن ضريح أرثور الذي قتل غدرًا هذه الليلة بناء على طلبك على حسب ما وصلني من أخبار.

الملك جون : أريد منك الاختلاط بهذه التجمعات؛ إذ لدي حيلة لاستعادة ما فقدته من مساندة الناس وتأييدهم وعُدْ إليّ بمن تستميلهم.

اللقيط : أمرك مطاع أيها الملك.

الملك جون : هيا اذهب، ولا تتأخر عليّ في الرجوع؛ إذ لا أريد أن أترك الفرصة لخصومي بالانتشار بين رعاياي وإثارة الرعب في صفوفهم، خصوصًا وأن الأعداء سيعمدون إلى القيام بهذا الأمر، هيا طِرْ، واستمد قوتك من الإله عطارد المجنح القدمين، ثم عد لتطمئنني.

اللقيط : ثق بعودتي السريعة أيها الملك.

الملك جون : هذا كلام رجل نشيط شجاع.

(للرسول) : اذهب برفقته؛ إذ ربما احتاج إليك لتكون حلقة اتصال بيني وبينه.

الرسول : بكل سرور يا مولاي.

الملك جون : إن نبأ وفاة أمي ليحزنني ويفتت قلبي.

(يدخل هيوبرت)

هيوبرت : وصلني يا مولاي أن خمسة أقمار قد شوهدت الليلة؛ أربعة منها ثابتة، أما الخامس فهو يدور حولهم كالدوامة.

الملك جون : أتقول خمسة أقمار؟

هيوبرت : لقد خرج المُسِنُّون إلى الشوارع؛ لينشروا نبوءات تثير القلق في نفوس العوام، ويتحدث الجميع عن نبأ وفاة أرثور، وكل يهمس في أذن صاحبه، والناس بين متكلم ينقل الأخبار والشائعات، وبين مستمع ينصت باهتمام، وعلامات القلق والخوف تبدو على قسمات وجهه، فيقطّب جبينه، ويحرك رأسه يمينًا ويسارًا، لذا رأيت حدادًا من فرط دهشته يرفع مطرقته في الهواء، بينما الحديد المحمي قد برد فوق السندان، فإذا به – أي الحداد – يسمع الأخبار من خياط يمسك بمقص في يده، ويرتدي نعلًا مقلوبًا لشدة تعجله، وقد كان يتحدث عن الأعداد الرهيبة من الجنود الفرنسيين التي جاءت متأهبة لخوض

معركة رهيبة في مقاطع كَنْتْ.

الملك جون : أجئت لتزيد الأمر سوءًا عليّ؟ إنك لتؤكد باستمرار نبأ موت الفتى أرثور، وإني لعلى يقين من أنك كان لك دور كبير في اغتياله، وإن كنتُ قد أردتُ قتله فقد شجعتني أنت على هذا لتشبع رغبتك في قتله.

هيوبرت : ما هذا الذي تقوله يا مولاي؟ ألم تكن تلك رغبتك من البداية؟ ألم تطلب مني صراحة أن أخلصك منه وأقضي عليه؟

الملك جون : إن لعنة الملوك وسوء حظهم تكمن في وجود مساعدين من أمثالك حولهم، فهم كالعبيد الذين يعتبرون الكلام الصادر في الغضب كأمر يجب عليهم تنفيذه دون أن يراعوا الحالة المزاجية للملك، أو يعرفوا أن هذا مجرد كلام يصدر منه في حالة غضب وثورة أو تصميم ونيّة.

هيوبرت : يا سيدي، إنَّ هذا توقيعك وخاتمك، فهما يثبتان طلبك الصريح مني للقيام بالأمر.

الملك جون : لقد سئمت من سوء فهمك، وهل أنت تتخذ من هذا التوقيع وهذا الخاتم دليلًا على جريرتي؟ إن رؤية آلة الشر تدفع إلى ارتكاب الجرائم؟ فلو لم تكن إلى جانبي وتشجعني على القيام بالأعمال المشينة لما تبادر إلى ذهني أن أفكر في هذه الجريمة، ولكن فظاعة منظرك، وحبك

للقتل، واستعدادك للقيام بهذه الأعمال الدموية الدنيئة هو الذي شجعني لمفاتحتك بأمر مقتل أرثور، بينما أنت لم يردعك ضميرك عن إهدار دم هذا الصبي الصغير.

هيوبرت : لكن يا مولاي...

الملك جون : لو كنت أبديت امتعاضًا أو استهجانًا أو ترددًا في تنفيذ الأمر عندما أشرت لك بإبهامي لأخجلتني وأوقفتني عن القيام بهذه الجريمة، ولاستعدت رشدي ورجعت إلى صوابي، ولكن على النقيض؛ بمجرد سماعك للأمر مني وفهمت مقصدي بادرت وعزمت على القيام بالأمر، ألم تخشَ من تلويث سمعتك بعد الإقدام على تنفيذ هذه الجريمة؟ إليك عني، هيا اغرب عن وجهي، ولا تجعلني أرى وجهك القبيح هذا ثانية، إن أشراف مملكتي قد انفضوا من حولي، وسلطتي لم يعد يخشاها أحد، بل إنّ أبواب مملكتي قد اقتحمها أعدائي وفتحوها، وأهدروا كرامتي في عقر داري، وانتشرت العداوة في الصفوف، وبدأت الحرب الأهلية، وكل هذا يزيد من توبيخ ضميري تجاه قتل ابن عمي البريء.

هيوبرت : إليك هذا الخبر السارّ إنني سوف أريحك من نصبك، ولن أكبدك عبء الوقوف والخجل أمام ضميرك، اعلم أن يدي لا تزال طاهرة لم يلوثها أي دم مسفوك، إن أرثور

على قيد الحياة، لقد غلبت طبيعتي على خشونة مظهري، ولم أستطع القيام بما كلفتني به.

الملك جون : أحقًا ما تقول؟ أرثور لا يزال حيًّا؟ آه، اسرع واذهب إلى أعواني لتزف إليهم هذا الخبر العظيم لإطفاء ما تأجج من غضب في قلوبهم نحوي، واطلب منهم العودة للامتثال لأوامري، والخضوع إليّ من جديد، وأرجو أن تسامحني على توبيخي لك، ونعتي لك بأقبح الصفات، فاعذرني؛ لأن الضغوط كانت تحيط بي من كل الجهات، كما أن تخيل منظر الدم الذي ظننتُه مهدورًا قد صورك عندي في صورة الوحش، هيا، لا ترد عليّ قولي، بل اذهب ونفذ ما طلبت منك وبلّغ أعواني بأنني في انتظارهم بأسرع ما يمكن.

(يخرجان)

نهاية المشهد الثاني

المشهد الثالث

أمام برج في القلعة

(يظهر أرثور في أعلى السور)

أرثور : إن السور مرتفع جداً، ولكني سوف أقفز، وأغامر بقفزي؛ فإذا تمكنت من الوصول للأرض بدون أي ضرر فسأجد أكثر من وسيلة للهروب، أما إذا مُت، فالموت أفضل لي من المكوث هنا، فيا أيها التراب أشفق بي ولا تسبب لي أي ضرر. (يقفز): النجدة، ليساعدني أحد، إن روح عمي كامنة في هذه الحجارة، لتصعد روحي إلى السماء، ولتحتفظ إنجلترا بعظامي.

(يموت)

(يدخل بمبروك وسالزبري وبيكوت)

سالزبري : يا سادتي، سألقاه في سان إدْ منسدري، فبذلك تكون نجاتنا، وعلينا قبول هذا الأمر حيال الخطر الذي يلقانا .

بمبروك : من الذي أتى بهذه الرسالة من الكردينال؟

سالزبري : إنه كونت ميلون، وهو أحد النبلاء من فرنسا يفضل تصرف ولي العهد، وهو يحمل له كل تقدير واحترام، وهو يوضح الأمر بصورة أكثر في هذه السطور القليلة.

بيكوت : فلنذهب إليه منذ صباح الغد.

سالزبري : أحرى بنا أن نذهب إليه الآن، فالوصول إليه يتطلب يومين طويلين سيرًا على الأقدام يا مولاي.

(يدخل اللقيط)

اللقيط : يسعدني لقاؤكم ثانية في هذا الصباح يا سادتي الغاضبين، إن الملك يطلب منكم أن تحضروا إليه على الفور.

سالزبري : إن الملك لم يعد يهتم لأمرنا، ونحن لا نبغي مشاركته في جرائمه الدموية التي ينشرها في كل مكان، هيا ارجع إليه وأخبره أننا على معرفة بقبائحه أكثر مما يعتقد.

اللقيط : مهما حاولت إفهامه أفكاركم في هذا الموضوع، فإني أعتقد أنكم أقدر على توصيل الفكرة له برقة كلامكم.

سالزبري : إن امتعاضنا هو الذي سيتبدى في هذا الوقت وليس لياقتنا في الكلام.

اللقيط : لكن مبرر امتعاضكم وغضبكم ضعيف، أما لياقتكم فهي التي ستنعم بكل الحقوق في هذه الأيام.

بمبروك : إن قلة صبرنا قد جعلت كل الأمور واردة.

اللقيط : هذا صحيح، ولعل أكثر الأمور جلاءً وأهمية هو ذلك الجرح الأليم.

سالزبري : أهذا هو السجين المقصود (يبصر جسم آرثور) أهذا هو الملقى أرضًا هناك؟

بمبروك : أما من حفرة لتواري هذا العمل الإجرامي؟

سالزبري : إن جريمة القتل قد خلفته هكذا، لكأنها قد خجلت من هذا العمل الشنيع.

بيكوت : أو ربما رفض القبر أن يضمه؛ إذ رآه أروع وأجل من أن يلقى مثواه الأخير.

سالزبري : (للقيط): ما رأيك في هذه الفعلة يا سِير ريتشارد؟ هل كنت تتخيل وقوع أمر على هذه الدرجة من الدناءة، وأن تراه بعينيك؟ أو هل كان يطاوعك عقلك على تصور حدوث شيء مماثل؟ انظر كيف يدفع حلم التاج إلى القيام بتلك الأعمال الوحشية.

بمبروك : عليه أن يخلع وشاح القداسة والطهارة، فقد كشفته جرائمه، وخلعت عنه هذا الوشاح لتفصح عن وحشيته ومجازره.

اللقيط : إنه عمل دنيء مشين، قامت به يد ملوثة بربرية، إنه ليس عملًا من صنع البشر.

سالزبري : إذا كان هذا العمل من صنيع البشر، فإنه يلقي الضوء

عما سيلقانا في الأيام القادمة، وما قد ينتهي إليه مصيرنا على يد ذلك السفاح هيوبرت، ومن أجل هذا فإني أحرم على نفسي الخضوع لذلك المستهتر.

بمبروك وبيكوت: نحن نؤيد رأيك بأمانة دينية صادقة.

(يدخل هيوبرت)

هيوبرت : لقد أضناني التعب بحثًا عنك يا مولاي، فأرثور لا يزال على قيد الحياة؛ ولهذا فقد أرسني الملك إليكم.

سالزبري : ها هو ذلك الشخص الوقح الذي لا يخشى الموت. (لهيوبرت): اخرج من هنا أيها الدنيء الدنس.

هيوبرت : لا تنعتني بهذه الصفات.

سالزبري : (يستل سيفه): لا تدفعني إلى الخروج عن القانون؟

اللقيط :أرجوك، اغمد سفك سيدي، وأعده إلى مكانه.

سالزبري : لا، لن أغمده قبل أن أضعه في أحشاء هذا القاتل.

هيوبرت : إليك عني يا سيدي سالزبري. فأنا أخشى عليك من بطش سيفي، إذا أنا حاولت ردك والدفاع عن نفسي، فأرجوك لا تنس ذاتك، ولا تجعل الغضب يغلب عليك وينسيك مدى عظمتك ونبلك.

بيكوت : إليك عني أيها الحقير، هل بلغت بك الوقاحة إلى التعرض لنبيل مثلي؟

هيوبرت : لست أخشى شيئًا على حياتي، وأنا قادر على الدفاع عن

براءتي أمام أي ملك من الملوك إذا وجه اتهامًا لي.

سالزبري : أنت قاتل شرس رهيب.

هيوبرت : إن صفحتي بيضاء ناصعة، فلا تجبرني على أن أشوهها، وأكون مثلما وصفتني الآن، إن من يخطئ في حديثه لا يقول الصواب وهو – بكل صراحة – كاذب ومنافق.

بمبروك : فلتأت وتمزقني إربًا إربًا.

اللقيط : أرجوك، اهدأ يا بمبروك.

سالزبري : ابتعد عن هنا، وإلاَّ فصلت جلدك عن لحمك يا فولكنبريدج.

اللقيط : الزم حدودك يا سالزبري، إذا قمت بأي حركة أو إذا سمحت لغضبك بأن يضايقني فسوف أرديك قتيلًا، هيا، استل سيفك، وسوف أحطمك أنت وسيفك.

بيكوت : ماذا تريد أن تفعل أيها المُدّعى فولكنبريدج؟ أتريد مساعدة قاتل مجرم؟

هيوبرت : يا سيدي بيكوت، أنا لست قاتلًا ولا مجرمًا.

بيكوت : فمن قاتل الأمير إذن؟

هيوبرت : إنه لم يمت، وقد كنت معه منذ ساعة من الآن، وهو ينعم بكامل صحته وعافيته، وإني لأُكِنّ له حبًّا جمًّا، وكنت سأندب حظي لو كان هذا النبأ حقيقيًّا.

سالزبري : لا تثقوا به، ولا تغرنكم دموع التماسيح، فإنَّ هذه هي

مهنته، وهو ماهر في التمويه والقيام بدور البريء. هيا يا جميع من يكره هول ودناءة هذا العمل الحقير، وأعيته نتانة رائحة هذه الجريمة.

بيكوت : هيا بنا إلى مدينة بري لننضم إلى جماعة ولي العهد.

بمبروك : (لهيوبرت): قل للملك إن كان يريدنا فليأتِ إلى هنا للاجتماع بنا.

(يخرج اللوردات)

اللقيط : (لهيوبرت): فقط استمع إلى حديثي يا سيدي...

اللقيط : ليس هناك عمل أشد بشاعة من عملك هذا، اعلم أنك هالك ألف مرة، إنك في أعماق الجحيم في أحط درجاته، لو كنت حقاً قتلت هذا الولد البريء.

هيوبرت : أقسم لك بحياتي ...

اللقيط : إنك قد وافقت على إتمام هذا العمل الإجرامي، وإذا كنت قد شعرت بالندم على فعلتك وأحسست بمدى بشاعتها وكنت بحاجة إلى حبل لتشنق به نفسك فإن أهون خيط من خيوط العنكبوت سَيَفِي بالغرض، أو إذا أردت أن تموت غرقًا، فإن قليلًا من الماء في فنجان سيؤدي المطلوب.

هيوبرت : إني وإنْ كنت قد أجرمت لمجرد التفكير في الموافقة على هذا الأمر في بدايته، إلا أنني أؤكد لك أنه لا يزال على

قيد الحياة، وقد غادرته منذ عدة ساعات، وهو يتمتع بالصحة والعافية.

اللقيط : اذهب وضعه بين ذراعيك، فقد أوشكت أن أفقد صوابي. (حمل هيوبرت الجثة على ذراعيه) ها قد صعدت روحه إلى السماء، وصعدت معه مملكته المغتصبة وضاعت معه كل حقوقه، والآن يدب الخلل في الصفوف، وتعم الفوضى أرجاء البلاد، هيا احمل هذا الفتى واتبعني بسرعة، ولنذهب إلى الملك لنعرض عليه صحف جرائمه، ونواجهه بها لنرى قوله في جرائمه التي تقطب جبين السماء لهولها وفظاعتها.

نهاية الفصل الرابع

الفصل الخامس

المشهد الأول

في قاعة داخل القصر

(يدخل الملك جون يتبعه بندولف حاملًا تاجًا ثم يدخل بعض الأشخاص)

الملك جون : هكذا وضعت بين يديك هالة مجدي.

بندولف : خذها من يدي كأنما تستلمها من البابا نفسه.

الملك جون : والآن أصبح محتمًا عليك أن تفي بوعدك عليك الذهاب إلى الفرنسيين، مستخدمًا كل النفوذ والصلاحيات لوقف زحفهم؛ فقد بدأ نبلاؤنا يتمردون، كما أن الشعب تحول من ولائه لي إلى ملك أجنبي من خارج البلاد، ولا أحد يستطيع إيقاف هذه الانحرافات سواك؛ فلتسرع – إذن – لإيقاف هذه الفوضى وللقضاء على ذلك المرض الخطير.

بندولف : سأصدقك القول، إن هذه العاصفة الهوجاء كنتُ أنا قد أثرتها عندما خالفت رغبة البابا، أما وقد عدت إلى صوابك وأعلنت خضوعك له من جديد، فسوف أخمد تلك العاصفة كما أرتها. إن اليوم هو عيد الصعود، وأنا

أنوي مقابلة الفرنسيين ودعوتهم ليلقوا سلاحهم.

(يخرج)

الملك جون: أحقًا اليوم عيد الصعود؟ لقد أخبرني العراف بأنني ساتنازل اليوم عن العرش رغمًا عني، ولكن الحمد لله أنني سأفعل ذلك فعلًا، ولكن طائعًا راضيًا.

(يدخل اللقيط)

اللقيط : لقد استسلمت مقاطعة كَنْتْ كُلُّها ولا يزال قصر دوفر عاصيًا، وقد ذهب نبلاؤك وأشرافك إلى عدوك ليعرضوا عليه خدماتهم ومساعدتهم.

الملك جون : ألم يغير اللوردات موقفهم نحوي بعد أن علموا أن آرثور لا يزال حيًّا؟

اللقيط : لقد وجدوا جثته على الأرض فتركوه في الشارع؛ فقد اعتبروه صندوقًا فارغًا سلبت منه زهرة الحياة بواسطة يد آثمة لعينة.

الملك جون : لقد أكد لي هيوبرت اللعين أنه لا يزال على قيد الحياة.

اللقيط : لقد أخبرك بالحقيقة، لكن لماذا يبدو عليك الانهيار؟ فأين عظمتك؟ وأين كبرياؤك؟ لا يجب وأن يلاحظ أحد في هذا العالم أمارات الخوف على وجهك، يجب أن تتصرف حسب مقتضيات الموقف، وعليك أن توجه الأمر بكل شجاعة وجسارة، هيا، تقدم إلى الأمام، ولا تخش شيئًا

وراء تلك القلاع، أريد أن يأتي أعداؤك لاختطاف الأسد من عرينه؟ لا يجب أن يقال هذا، هيا انطلق من خلف هذه الأبواب لتواجه التمرد وتصرعه.

الملك جون : لقد قابلت مندوب البابا وتصالحت معه، وقد قطع وعداً بأن يصرف فرق الجنود التي يقودها ولي العهد.

اللقيط : يا له من أمر قبيح، هل نسمح أن يطأ هؤلاء الأغراب أرضنا ليقتحموها، ويستولوا عليها، بينما نحن نسعى إلى المسالمة واقتراح تسوية؟ أيعقل أن يحكم أرضنا فتى ساذج مدلل لم تظهر لحيته بعد؟ هيا، يا مليكي لنسرع إلى السلاح؛ فقد لا يتوصل الكردينال إلى أي سلام، وإن أمكنه فيجب أن تظهر للجميع أننا كنا مستعدين للدفاع عن أراضينا.

الملك جون : تولّ أنت تدبير الأمر.

اللقيط : إذن، فهيا بنا إلى العمل، وأنا عندي ثقة في أن قواتنا قادرة على صد هذا العدوان وإيقاف زحفه.

(يخرجون)

نهاية المشهد الأول

المشهد الثاني

في سهل قريب من سان ادمندسيري

(يدخل لويس وسالزبري وميلون ويمبروك وبيكوت، وجميعهم مدججون بالسلاح من جنودهم)

لويس :(لميلون ويسلمه ورقة): يا سيدي ميلون، أقترح عليك أن تكتب نسخة من هذه الورقة، ثم تضع هذه النسخة في مكان آمن بين محفوظاتنا، ثم تعيد إرسال هذه النسخة الأصلية إلى كافة اللوردات؛ حتى يتمكنوا من معرفة بنود الاتفاقية، وبهذا يكون كل منا مُلِمًّا بحقوقه وواجباته.

سالزبري : إننا – من جهتنا – لن نخرج عن الالتزام بأي من نصوص هذه المعاهدة، ولكن صدقني أيها الأمير، إنني لست مسرورًا بأن يكون هذا العصر السيئ البغيض الذي نعيشه في حاجة إلى ثورة لإزالة الجراح القديمة والآثار الناتجة عنها، وإن أشد ما يضايقني هو اضطراري إلى ترميل نساء هذا البلد، واأسفاه، عجبًا لهذا الزمان الذي يدفعنا إلى أن

نعمد لسواعدنا لحفظ حقوقنا ورد العدوان عن شعبنا، أليس هذا أمرًا غريبًا أن ننساق – نحن أبناء هذه الجزيرة – وراء شخص ليس من أرضنا فنضخم صفوفه؟ (يمسح دمعة تدحرجت على خده): إنني لا أستطيع أن أوقف دموعي عن الجريان على وجنتي من الأسف على ما انتهى إليه حالنا من الوصول إلى هذا الدرك الأسفل، إن أشد ما أتمنى أن يتمكن شعبي من تفادي هذه الكارثة، وأن يكون قادرًا على تجاوز تلك الأمواج المتلاطمة للوصول إلى بر الأمان.

(يشهق في بكاء)

لويس : إن هذا لدليل على كرم أخلاقك وشهامتك، فعواطفك السامية قد ترفعت بك عن الصغائر، ما أعظم القتال القائم على توطيد السلام! لطالما رق قلبي لدموع المرأة التي تفيض عواطفها الجياشة، أما ذرفك أنت لدموع الشيخوخة فإنها تبهر أنظاري وتثير شجون قلبي، أتوسل إليك أن تترك هذه الدموع، ونَحِّهَا جانبًا لأبناء من لم يشاهدوا هذه الدنيا، تعال، واستمتع معي بألوان الترف والازدهار قبل أن أستنفده، ها قد أتى وفد البابا قد جاء ليمد لنا يد العون من السماء، وبهذا يزداد عملنا بركة ومسندة.

(يدخل بندولف على رأس موكب يتبعه)

بندولف : مرحبًا بك أيها الأمير الفرنسي، أحمل إليك أخبارًا جديدة، لقد صالح الملك جون روما وانصاع لرغباتها بعد طول مقاومة، وقد صار الآن حليفًا للكرسي الرسولي، فتوقف – إذن – عن إعمال الحرب والدمار في البلاد، واخفِ ميولك الوحشية وروضها وارضَ بالسلام داعيًا لنشره محبًا له.

لويس : اعذرني يا صاحب السيادة، لن أتراجع عن موقفي، كيف تطلب مني أن أقر سلامًا مع من هو أدنى مني منزل؟ وما أهمية هذا السلام بالنسبة إليّ وقد أصبحت الأرض نصفها ملكًا لي؟ إنك أنت بنفسك من أجّج لهيب هذه الحرب وأشعل جذوتها، أتطلب الآن مني أن أوقف زحفي؟ إن هذا الأمر مستحيل، لقد تحملت وحدي تكاليف ومسئوليات الحرب، ولم يُلَبِّ أحد ندائي سواي ورعاياي، وتحملنا جميعًا عبء هذه الحرب، ولم تؤيدنا روما بجندي واحد، فكيف تطلب مني روما الآن أن أوقف الحرب؟ إن سكان هذه الجزيرة قد أصبحوا يهتفون باسمي في مدنهم، كما أنني أصبحت مزودًا بكل الإمكانيات التي تؤهلني للفوز بتلك الحرب، كلا، كلا وحق السماء، هذا لن يكون أبدًا.

بندولف : أنت لا ترى سوى المظهر الخارجي فقط.

لويس : لا يهمني إذا كان مظهرا خارجيًا أو داخليًا، إن ما يعنيني الآن هو استكمال فوزي الذي تمنيته، ولن أتراجع أو أتوقف حتى أصل إلى الأهداف التي جئت لتحقيقها والظفر بها، وسوف أجمع من حولي كل الأنصار والمؤيدين الذين يضمنون لي التفوق والانتصار. (يسمع صوت بوق) تُرى ماذا تحمل لنا من أخبار تلك الموسيقى الحادة؟

(يدخل اللقيط ومعه فرقة من الحراس)

اللقيط : طبقًا لحقوق الشعب الملكية أطلب المقابلة، فأنا قادم من قِبَل الملك يا سيدي ميلانو للتفاوض، وأنا مفوض للتداول. (يوجه حديثه لبندولف): وتبعًا لإجابتك سأبحث كيفية التصرف بمقتضى السلطة التي منحتها.

بندولف : إن ولي العهد يرفض بشدة ما جئت لأجله، ولا يرغب في إلقاء السلاح، أو أية هدنة.

اللقيط :(لولي العهد): إذا كان هذا رأيك أيها الأمير، فاستمع لما أقول وانصت إليه جيداً: إن جلالة الملك جون يستنكر كل الحجج الواهية التي استندت إليها في شن هجومك، ويرى أن هذه المجزرة العشوائية هي تصرف صبياني، إن كنت تظن أن جيوشنا غير قادرة على ردعك فأنت

مخطئ واهم، فالملك مستعد لأن يضرب بضراوة جيوشكم الهزيلة، وأن يبيدها ويردها على أعقابها، انتبهوا أيها الأقزام، إن الساعد الذي استطاع جلدكم عند أبوابكم قادر على اللعب بكم كأحجار الشطرنج، وأن تختبئوا في كهوفكم وسجونكم، اعلموا أن الملك كامل الأعداد والعدة، فهو كالنسر المحلق فوق القمة، وجاهز للانقضاض على العدو. (لسالزبري واللوردات): أما أنتم أيها الجبناء الخونة المنشقون فأنتم وصمة عار على جبين إنجلترا، إن الملكة قد احمرّ وجهها خجلًا من تصرفكم المشين، لقد خرجت نساؤنا وبناتنا وراء طبولنا، وتحولت خواتمهن إلى قفازات حديدية، ورقة قلوبهن إلى عناق دموي.

لويس : كفوا عن هذا اللغو، وعودوا من حيث أتيتم، إنني لا أنكر عليك طلاقة لسانك التي غلبتنا بها، ولكن اذهب الآن، فوقتي أثمن من أن أضيعه وأهدره في حديث لا طائل منه كحديثك.

بندولف : اسمح لي بالكلام.

اللقيط : لا، أنا أريد التكلم.

لويس : لا أود الاستماع لأي منكما، فلتقرع طبول الحرب، وليستعد جيشنا للتحرك.

اللقيط : نعم، لتقرع طبولكم بشدة، كما ستقرع حين تتفرق صفوفكم، فإن طبولكم المزعجة حالما تنشر سوف تجد جوابًا أشد دويًا من طبولنا، وسوف ترى وتشاهد بنفسك عظمة جون المحارب، وعلى وجهه ترتسم إشارات الموت المحقق لأعدائه، لسوف يأتي ليحمل للفرنسيين الهلاك والفناء.

لويس : إذن فلتدق الطبول، لنرى مقدار هذا الخطر الذي يهددنا.

اللقيط : كن على ثقة من أنك ستواجه هذا الخطر يا ولي العهد.

(يخرج الجميع)

نهاية المشهد الثاني

المشهد الثالث

في ساحة المعركة

(يدخل الملك جون وهيوبرت)

الملك جون : أخبرني بما سينتهي إليه يومنا يا هيوبرت؟

هيوبرت : أخشى أن يكون سيئًا، كيف أحوالك يا سيدي؟

الملك جون : إنها الحمى التي تتشعل في عقولنا منذ زمن طويل، وهي لا تزال تؤلمني وتعصر قلبي عصرًا.

الرسول : (للملك): يا سيدي، إن ابن عمك فولكنبريدج يطلب من جلالتك الإسراع بمغادرة ساحة الحرب، وأن تخبره عن الطريق الذي نسلكه.

الملك جون : أخبره بأنني سأسلك طريق سوينستاد باتجاه الدير.

الرسول : (للملك): أحمل لك أخبارًا سارة أيها الملك، فقد غرق المدد الذي كان ينتظره ولي العهد في البحر منذ ثلاث ليالٍ عند رمال كودوين، وقد تسرب هذا الخبر إلى ريتشارد، وبالنسبة للجنود الفرنسيين فهم يقاتلون بفتور.

الملك جون : إنه لخبر سار فعلاً، ولكن تلك الحمى المستعرة بأحشائي تحول دون احتفالي بهذا الخبر السار، فلنذهب إذن إلى سوينستاد، فجهزوا لي محملي، فقواي قد ضعفت، وأخشى أن أصاب بالدوار.

نهاية المشهد الثالث

المشهد الرابع

في قسم آخر من ساحة المعركة

(يدخل سالزبري ويمبروك وبيكوت وغيرهم)

سالزبري : لم أكن أعرف أن الملك سيحظى بكل هؤلاء الأصدقاء المخلصين.

بمبروك : علينا أن نحمس الفرنسيين ونؤيدهم بقوة؛ لأنهم إذا سقطوا سقطنا معهم.

سالزبري : اللعنة على هذا اللعين المدعو فولكنبريدج، فعلى الرغم من صعوبة الأمر إلا أنه يوجه سير المعركة بمفرده.

بمبروك : لقد تواترت الأخبار بأن الملك جون قد أصيب بمرض خطير أعاقه عن التواجد في ساحة القتال.

(يدخل ميلون جريحاً يحمله بعض الجنود)

ميلون : اذهبوا بي إلى الثوار الإنجليز الموجودين ههنا.

سالزبري : عندما كنا ننعم بالهدوء كانت ألقابنا مختلفة.

بمبروك : هذا هو الكونت ميلون.

ميلون : اهربوا، انجوا بأنفسكم يا نبلاء إنجلترا وإلا هلكتم، عودوا إلى الملك جون، وتوسلوا إليه أن يسامحكم، فالفرنسيون إذا آل الأمر لهم وانتصروا فسوف يكافئونكم بقطع رقابكم في الحال.

سالزبري : أهذا صحيح؟ أيمكن حدوث هذا؟

ميلون : الأمر لا يحتمل التفكير، أنا كما ترونني الآن ألفظ آخر أنفاسي، ولا سبيل للكذب أو النفاق، إن حياتي تذوب أمام ناظري كأنها مثال من الشمع يذوب أمام حرارة النار الملتهبة، أنا أؤكد لكم بأن لويس في حال ظفره سيقضي عليكم في نفس الليلة لا محالة، ولن تشرق عليكم شمس يوم جديد، أرجوكم أن تفروا وأن تعودوا إلى ملككم وتذعنوا له من جديد، وتتوسلوا إليه أن يسامحكم على جريرتكم، وهناك عندما تعودون إليه عندما تقابلون هيوبرت أبلغوه أنني حريص على صداقته، وأن ضميري ليحرضني على الاعتراف بالحقيقة، كما أرجو أن تحملوني من هنا بعيداً عن ساحة القتال، وعن الشائعات المنبعثة من ساحة القتال والقائلة بأنني أرضى بقبول مختلف الأفكار بسلام.

سالزبري : أنا أصدقك يا صديقي، فكم ألوم نفسي على خيانة الملك جون، والوقوف ضده مع أعدائه، لنترك هذا المكان

ونسرع إلى الملك جون في خضوع واستسلام وقبول لأي موقف سيتخذه نحونا، ولكنني متأكد من أنه سيكون كالنسر فوق أسواره، ويعفو عنا، ويجمعنا كلنا تحت عنايته. (لميلون): أما أنت يا صديقي فسوف نحملك على سواعدنا؛ إذ أرى صورة الموت ينبعث من عينيك، فهيا الآن يا أصحابي نجدّ في المسير.

(يخرجون مصطحبين ميلون)

نهاية المشهد الرابع

المشهد الخامس

في المعسكر الفرنسي

(يدخل لويس وحاشيته)

لويس : يبدو لي منظر الشمس وهي آفلة نحو الغروب وكأنها آسفة على غيابها هذا، لذا راحت تلون الفلك بلون الأرجوان، بينما الإنجليز ينسحبون ببطء وتمهل.

(يدخل رسول)

الرسول : أين الأمير؟ أين ولي العهد؟

لويس : إنه هنا، ماذا لديك من أخبار؟

الرسول : لقد قتل الكونت ميلون، ولكن بعد أن أقنع القادة الإنجليز بضرورة الانسحاب والعودة للوقوف إلى جانب مليكهم، وبهذا فقد فقدنا المدد الذي كنت تترقب وصوله طويلاً قبل أن تغرق قرب رمال كودوين.

لويس : يا لها من صدمة قاسية، اغرب عن وجهي فقد جئتني بأسوأ خبر سمعته، إذن، فمن الذي نقل إليّ نبأ انسحاب الملك جون قبل ساعة أو ساعتين من الغروب وانفصال

جيشينا المنهكين.

الرسول : إن من أخبرك بهذا إنما نقل إليك الحقيقة بعينها.

لويس : إذن فلنقضي مساءنا هنا في معسكرنا في ظل حراسة مشددة، وفي النهار ستكون الفرصة قد أتيحت لبناء مستقبل أفضل.

(يخرجون)

نهاية المشهد الخامس

المشهد السادس

في جوار دير سوينستا عند هبوط المساء

(يدخل اللقيط وهيوبرت من جهتين مختلفتين)

هيوبرت : من القادم إلى هنا؟ تكلم، تكلم، وإلا أطلقت عليك سهامي.

اللقيط : أنا صديق، وأنت من تكون؟

هيوبرت : أنا من جماعة البريطانيين.

اللقيط : إلى أين أنت ذاهب؟

هيوبرت : وماذا يهمك في الأمر؟ هل تدخلت أنا في شئونك الخاصة يا صاح؟

اللقيط : أظنك هيوبرت، أليس كذلك؟

هيوبرت : ظنك صحيح، إذا كنت قد عرفت صوتي فمن أنت إذًا؟

اللقيط : اعتبرني كما تشاء، ويمكنك اعتباري صاحبًا انحدر من سلالة بلانتاجيني.

هيوبرت : أنت تذكرني بأمور لا احبها؛ لأنك وظلام الليل قد وضعتماني في موقف حرج، سامحني أيها الجندي

الشجاع؛ لأن أذني لم تعتد على سماع صوتك.

اللقيط : اقترب يا رجل، وكف عن المجاملة، ماذا لديك من أخبار؟

هيوبرت : كنت أمُرّ من هنا باحثًا عنك.

اللقيط : هيا، عجِّل، وقل لي ماذا بعد؟ ولماذا كنت تبحث عني؟

هيوبرت : ثمة أمر وقع أمس الأول، وهو يسبب اليأس والخوف.

اللقيط : ما هو، فإنني لست امرأة لأخشى شيئًا.

هيوبرت : أخشى أن يكون أحد الرهبان قد وضع السم للملك؛ فقد تركته خائر الأعصاب، لذا فقد هربت وجئتك بسرعة البرق لأطلعك على هذه الكارثة حتى نتخذ الحيطة والحذر لمواجهة هذه الأزمة.

اللقيط : وكيف وصل هذا السم إليه؟ من تذوق طعامه قبل أن يأكل منه؟

هيوبرت : على الأغلب هو راهب خسيس تمزقت أحشاؤه، على الرغم من أن الملك لا يزال قادرًا على البقاء بفعل الإسعافات التي أبقته حيًّا إلى الآن.

اللقيط : ومن بجانب الملك الآن لمساعدته؟

هيوبرت : ألا تعرف أن جميع اللوردات قد رجعوا إلى الملك، وقد توسط الأمير هنري لهم عند الملك لمسامحتهم؟

اللقيط : سأخبرك يا هيوبرت بأمر مزعج، لقد فقدت نصف

رجالي بعد مرورنا الشاطئ الرملي، فباغتتهم أمواج المد في منطقة لنكولن وابتلعتهم، إلا أنني تمكنت من الفرار والخلاص حيث كنت على صهوة جوادي، خذني إلى الملك الآن، فأنا أخشى أن يموت قبل وصولي إليه.

(يدخل بمبروك)

بمبروك : إن الملك لا يزال قادرًا على مقاومة الموت، وإنه على يقين من أنه إذا نقل إلى الهواء الطلق فسوف يشفى من آلامه المبرحة التي يعانيها على أثر تناوله السم.

هنري : ائتوا به إلى الحديقة ومددوه، ألا يزال يهذي؟

بمبروك : إنه أكثر هدوءًا الآن مما كان عليه من قبل.

هنري : ما أغرب المرض وما أعجبه! إنه عندما يشتد بالإنسان الوجعُ لا يشعر به، ولعل من أكثر الأشياء العجيبة في الموت أنه قد يدفع بصاحبه إلى الإنشاد – كما هو الحال مع الملك، وكأنه يتغنى بترانيم الموت.

سالزبري : كن شجاعًا أيها الأمير.

(يدخل بيكوت ومعه بعض الخدم يحملون الملك جون وهو جالس على مقعد)

الملك جون : أشعر وكأن أحشائي تتمزق من فرط الألم، وأحس وكأنني لست سوى هيئة مشوشة مرسومة بريش على الورق، إلا أنني أجد سواعد وفية تمتد إليّ لتساعدني،

فلست إذن بحاجة إلى الخروج من النافذة ولا من الباب.

هنري : كيف حالك الآن يا سيدي؟

الملك جون : لا أشعر بالارتياح، فالسم ينتشر في عروقي، إني هالك لا محالة، إنكم تقفون حولي هكذا وأنتم لا تستطيعون تقديم اي شيء، ولا احد منكم يستطيع أن يجد علاجًا لآلامي، إنكم حتى تبخلون عن مواساتي.

هنري : ليت دموعي كانت تستطيع علاجك.

الملك جون : إن ما تحتويه دموعك من الملح ساخن جدًّا لدرجة أنها ستزيد جحيم جوفي المتأجج بالنار، وكأن بجوفي شياطين ينزعون مني الحياة بأعنف ما يكون.

(يدخل اللقيط)

اللقيط : لقد جئتك بأقصى سرعة لديّ أيها الملك، حتى إنني أكاد أموت من شدة اللهاث.

الملك جون : لقد جئت في الوقت المناسب يا ابن العم؛ لكي أودعك قبل أن أفارق الحياة، جئتني لتنقل إليّ آخر خبر سأسمعه في حياتي، فهات ما عندك؛ إذ لم يعد يتبقى الكثير لدي.

اللقيط : إن ولي العهد يتأهب للمجيء إلى هنا، لكنه لا يعلم الأهوال التي تنتظره في تلك البقعة، خاصة بعد أن فقد خيرة جنوده الذين غرقوا في أمواج البحر العاتية.

سالزبري : أتنقل هذه الأخبار المشئومة في أذن الملك وقد قارب على

الوفاة؟ وأسفاه، إن فداحة خسارتنا فيك كبيرة أيها الملك.

هنري :أي أمل يبقى في هذه الدنيا؟ وأي سند يمكن الاعتماد عليه بعد أن أصبح ترابًا وجثة هامدة من كان منذ برهة ملكًا جليلًا؟

اللقيط :(يلتفت إلى الجثة): لقد فارقتنا أيها الملك العزيز، لن أبقى في هذه الدنيا بعد اليوم إلا لأقوم بواجب الشعائر التي تليق بك، وللأخذ بثأرك، وعندها ستصعد روحي لتكون خادمة لك في السماء كما كانت كذلك في الأرض.

(للوردات) : وأنتم يا رجال إنجلترا ونجومها الساطعة، هيا الآن، احشدوا قواكم وأثبتوا ولاءكم وإخلاصكم وقوموا لمواجهة العدو وإلحاق الذل والمهانة والحسرة به؛ لكي نجعله يندم لإقدامه على غزو بلادنا، هيا لننتقم جميعًا من هذا العدو اللدود.

سالزبري : يبدو أنكم لستم ملمين بالأمر أكثر منا، فالكردينال بندولف يمكث في الدير منذ نصف ساعة وقد جاء من عند ولي العهد باقتراحات سِلم لا يسعنا سوى قبولها مرغمين، وقد أعلن ولي العهد استعداده الكامل للانسحاب من ساحة القتال نظرًا للفوائد التي ستعود عليه.

اللقيط : وسوف يكون استعداده للانسحاب أتم عندما يرى أننا محصنون ومستعدون للذود عن أرضنا.

سالزبري : إن ولي العهد قد أرسل عددًا لا بأس به من ناقلات الجند إلى الشاطئ وربط موقفه بقرار الكاردينال، وبعد ظهر اليوم سأذهب برفقة بعض اللوردات لنجري المفاوضات معهم، نأمل أن تكون النهاية سعيدة ومرضية.

اللقيط :(لهنري): حسنًا، وأنت أيها الأمير الجليل ممن يجب وجودهم أثناء تلك المفاوضات، وسترافق معهم موكب جنازة أبيك.

هنري : لقد وصى بدفن جسمانه في ورسستر.

اللقيط : إذن فيجب أن نذهب به إلى هناك، ومن ثم عليك أن تحفظ السلطة الوراثية من بعده من أجل الحفاظ على أمن وسلامة الوطن، وها أنا أول من يجثو على ركبتيه ليؤدي لك فروض الولاء والطاعة، ولأضع نفسي تحت تصرفك.

سالزبري : وكذا نفعل نحن، ونقدم لك مودتنا وحبنا.

هنري : لا أجد بوسعي ما أعبر به عن امتناني وشكري لكم، ولكن دموعي التي أذرفها هي خير شاهد على جزيل شكري لكم.

اللقيط : علينا أن نكتفي من أحزاننا التي أخذت حقها منا، فلننظر إلى المستقبل الآتي، إن إنجلترا لم تسقط بعد،

ولن تسقط أبداً، إلا إذا كان لأبنائها دور في هذا الأمر، أما الآن وقد عاد الأمراء إلى صوابهم ورشدهم، واتجهوا نحو تقديم واجبهم الأسمى في الدفاع عن مملكتهم، فإننا سنتكاتف الآن ونتحد ونصير يداً واحدة، قادرة على البطش بأي عدو تسول نفسه التفكير بالمساس بشبر واحد من أرض مملكتنا.

(يخرجون)



الملك جون

